الفصـــل الأول

التاريخ : مدخل تأسيسى

مقدمـــــة :

التأريخ للتربية عملية فرعية من تلك الشجرة الكبيرة ، التأريخ على وجـه العمـوم ، تلك العملية التى تتنـاول مجـالات تخصصية فرعيـة متعددة ، فهنـاك تـأريخ لـلأدب ، وللفنون ، وللعلوم ، للأديان ٠٠ وهكذا ، كل مجـال منهـا إذا كـانت لـه خصائصـه التـى تميزه عن غيره من المجالات الأخرى ، إلا أنها جميعا لابد أن تشترك فى جملـة أصـول هى التى تجعلها " تأريخا " ، ومن هنا فإن المشتغل بالتأريخ للتربية لابد أن يكون علـى علم بمثل هذه الأصول ، تلك الأصول التى أطلقنا عليها وصف " مدخل تأسيسى " ٠

المفهـــــوم :

فى الكتابات العربية ، نجد صياغات لغوية مختلفـة ، لكنهـا ، فـى الغـالب والأعـم ، تكاد تتفق فى المعنى والدلالة ، وهذا مما يتضح لنا من استقراء بعضها فيما يلى :

- ففى كتب المعاجم وتصنيف العلوم ، نجد أن كلمـة التـاريخ تعنـى الإعـلام بـالوقت ، ويقال أرخت الكتاب وورخته ، أى حددت وقت كتابته (١) ٠

ويقول " التهانوى " أن التـاريخ فـى اللغـة تعريـف الوقـت ، وقيـل بمعنـى الغايـة ، ومعنى قولهم فعلت فى تاريخ كذا فعلت فى وقت الشىء الذى ينتهى إليه (٢) ٠

أما " الجوهرى " (٣) فقد ذكر أن " التاريخ ، تعريـف الوقت ، والتوريخ مثلـه يقـال أرخت وورخت " ٠ وقيل اشتقاق من الأرخ ، بفتح الهمزة وكسرها ، وهو صغار الأنثى من بقر الوحش لأنه شىء حدث كما يحدث الولد (٤)٠

وقد فرق " الأصمعى " (٥) بين اللغتين ، فقال " بنو تميم يقولون ورخت الكتاب توريخا ، وقيس تقول أرخته تأريخا " ٠

وفى غير هذه المصادر ، نجد " أبا الفرج قدامة بن جعفر " (٦) الكاتب فى كتاب (الخراج) له : " تاريخ كل شىء آخره ، فيؤرخون بالوقت الذى فيه حوادث مشهوره " ٠ أما " الصولى " (٧) فيرى أن " تاريخ كل شىء غايته ووقته الذى ينتهى إليه زمنه " (٨) ٠ ومنه قيل لفلان تاريخ قومه ، إما لكون إليه المنتهى فى شرف قومه ، كما قاله " المطرزى " (٩) ، وذلك بالنظر إلى لإضافة الأمور الجليلة من كرم أو فخر أو نحوهما إليه ، وإما لكونه ذاكرا للأخبار وما شاكلها ٠

وأورد " محيى الدين الكافيجى " (توفى ٨٧٩هجرية - ١٤٧٤م) عددا من التعريفات (١٠):
فالتأريخ لغة : " تعريف الوقت "، واصطلاحا : " تعيين وقت لينسب إليه زمان مطلقا ، سواء كان قد مضى ، أو كان حاضرا ، أو سيأتى " ، أو : " تعريف الوقت بإسناده إلى أول حدوث أمر شائع ، كظهور ملة ، أو وقوع حادثة هائلة ، من طوفان أو زلزلة عظيمة ، ونحوهما من الآيات السماوية والعلامات الأرضية " ، أو " مدة معلومة بين حدوث أمر ظاهر وبين أوقات أخرى " ٠

تلك تعريفات اصطلاحية ثلاثة للفظة " التأريخ " مقابلا بها معناها اللغوى ، وإن لم يترجح أى منها لدى مؤرخنا ، إيمانا منه بأن " كل أحد له أن يصطلح على ما يشاء كيف يشاء ، لغرض صحيح " ، فضلا عن أنه " لكل أحد من هذه الاصطلاحات وجه وجيه " (١١) ٠

أما " السخاوى " (المتوفى ٩٠٢ هجرية) فقد أشار إلى أنه ، فى الاصطلاح " تعريف بالوقت الذى تضبط به الأحوال : من مولد الرواة ، والأئمة ، ووفاة ، وصحة ، وعقل ٠٠٠ وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم ٠٠٠ ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة : من ظهور ملمة ، وتجديد فرض ، وخليفة ، ووزير ٠٠٠ وملحمة ، وحرب ٠٠٠ وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء ، وغير

ذلك من أمور الأمم الماضية ، وأحوال القيامة ومقدماتها ٠٠٠ أو دونها كبناء جامع ، أو مدرسة ٠٠٠ أو نحوها مما يعم الانتفاع به مما هو شائع مشاهد ، أو خفى سماوى : كجراد ، وكسوف ٠٠" (١٢) ٠

وقد تدل كلمة " تاريخ " على مطلق مجرى الحوادث الذى يصنعه الأبطال أو تصنعه الشعوب ٠ ونحن لا نستخدم كلمة تاريخ الآن إلا فى حالة السرد المرتب زمنيا ، وفى المعنى العام صارت كلمة تاريخ تعنى ماضى الإنسان ، ولهذا وضع الألمان كلمة تحمل نفس المعنى ، وهى Geschichte المشتقة من الفعل الألمانى Geschehen بمعنى يحدث ، ولكن الواقع أن كلمة تاريخ تعنى مجموعة الأحداث التى وقعت فى الماضى ، والتى تقع حاليا ، ثم التنبوء على هدى ذلك وفى ضوئه بما سوف يقع مستقبلا (١٣) ٠

وقد أصبح الشائع حاليا التفريق بين كلمة التاريخ History كتعبير دال على مسيرة الإنسان الحضارية على سطح كوكب الأرض منذ الأزل ، وعبارة تدوين التاريخ Historiography أو " التأريخ " كتعبير عن العملية الفكرية الإنشائية التى تحاول تسجيل وبناء وتفسير سيرة الإنسان على كوكبه ، وهذه العبارة تتضمن استخدام التاريخ بوصفه سجلا للماضى ، وبوصفه نظاما تعليميا أكاديميا (١٤) ٠

وهذا ما نلاحظه كذلك عندما نتأمل معنيين لكلمة تاريخ فى الفرنسية يساء التمييز بينهما عادة ، فمن جهة ، يتناول معناها مجمل الحوادث الملحوظة التى تجلت فيها البشرية ، وتتجلى فيها اليوم ، وستتجلى فيها غدا ، ومن جهة أخرى ، يعنى معرفتنا إياه ٠ ومع أن هذا المعنى ، منطقيا ، جاء لا حقا بالمعنى الأول ، فإنه هو الذى فرض نفسه على الناس ، أولا ودخل لغاتهم (١٥)٠

أصـــل الكلمـــــة :

واختلف العلماء القدماء والمحدثون فى أصل كلمة " تاريخ " ، وهل هى عربية أو غير عربية ؟ (١٦) ، وما ورد من كلام " الأصمعى " يشير إلى أنه عربى ، وقيل إنه

ليس بعربى محض بل مأخوذ من " ماه روز " بالفارسية ، وماه ، تعنى القمر ، وروز هو اليوم ، ثم عربت الكلمة فصارت مؤرخ (١٧) ٠ ومما يلفت النظر ما أورده " البيرونى " فى ص ٢٩ من كتاب الآثار الباقية (طبعة سخاو Sachu) وذكره " الخوارزمى " أيضا فى مصنفه مفاتيح العلوم (طبعة فان فلوتن / ص ٧٩) بالتفنيد والتخطئة من أن كلمة تاريخ فارسية ، للظن بأن " ماه روز " تدعو إلى الشعور شعورا لا مراء فيه بأن المراد منه تعيين بدء الشهر ، ومن ثم يرى أن هذه النظرية تتصل بالقصة التى رواها عدة مؤرخين وهى ترد أخذ المسلمين بتاريخ الهجرة تقويما لهم إلى نصيحة " الهرمزان " للخليفة عمر بن الخطاب (١٨) ٠

وفى هذا قيل أن الخليفة ابن الخطاب لما كثرت لديه الأموال ، واختلط عليه وقت توزيعها ، جمع وجوه الصحابة وسألهم عن كيفية التوصل إلى ذلك ، فقال له الهرمزان ملك الأهواز ، وكان قد أسر زمن فتح فارس وحمل إلى عمر فأسلم : " إن للعجم حسابا يسمونه ماه روز ويسندونه إلى من غلب عليهم من الأكاسرة " ، فعربوا لفظة ماه روز بمؤرخ ، وجعلوا مصدره " التأريخ " واستعملوه فى وجوه التصريف ، ثم شرح لهم المهرزان كيفية استعمال ذلك (١٩) ٠

وقال " أبو منصور الجواليقى " (٢٠) فى كتابه " المعرب من الكلام الأعجمى " ، يقال أن التاريخ الذى يؤرخه الناس ليس بعربى محض ، وإنما أخذه المسلمون عن أهل الكتاب ، وتاريخ المسلمين أرخ من سنة الهجرة ، كتب فى خلافة عمر رضى الله عنه فصار تاريخ إلى اليوم ٠

ويذكر " بلسنر " Plessner أن هذه اللفظة " تاريخ " سامية الأصل ، وأن أصل كلمة تاريخ هو الأصل السامى لكلمة (روح التى يروح شبحها) ، فى ياريخ ، العبرية ، التى معناها القمر ، و" يرخ " التى معناها الشهر ، وعلى هذا القياس يكون معنى كلمة " تاريخ " ، هو التوقيت أى تحديد الشهر ، ثم اتسع نطاق هذه اللفظة فشمل من جهة معنى تقييد عهد ما حدث ، أو بمعنى " التأريخ " ، أى رواية هذا الحادث ، أو من جهة أخرى بمعنى تحديد الوقت أو العصر ، أو التاريخ التاريخ المدون حسب السنين (٢١) ٠

ويلفت " موافى " نظرنا بحق ، إلى أن البحث " الفنولوجى " فى أصل هذه اللفظة ، وغيرها من الألفاظ الأخرى ، غالبا ما تكون نتائجه غير مقطوع بصحتها ، ولا يمكن الركون إليها كثيرا ، لأن معظمها قائم على الفروض المؤسسة على مجرد التشابه اللفظى ، أو المعنوى فى البنية والاشتقاق ، ومن ثم فليس من السهولة أن نسلم بصحة الرأى الذى يذهب إلى أن هذه الكلمة " تاريخ " سامية الأصل ، أو الذى يقول بفارسيتها لأن هذا التشابه اللغوى فى البنية والاشتقاق بين كثير من الألفاظ فى لغات مختلفة ، يخدعنا كثيرا ، ويجرنا إلى أحكام ونتائج لغوية خاسرة (٢٢)٠

وعلى أية حال ، فلقد أكد " جيبب H.Gibb " على أن لفظ تاريخ إنما هو لفظ عربى بمعنى العهد أو الحساب أو التوقيت ، أى تحديد الوقت وتحديد الشهر (٢٣) ٠

والجدير بالذكر أن كلمة تاريخ لم تذكر فى فى الأدب الجاهلى ولا فى القرآن الكريم ، ولا فى الأحاديث النبوية الشريفة ، وإن كان من المسلم به أن القرآن الكريم - كما قد نفصل بعض الشىء فى جزء تال - قد عمق الإحساس التاريخى عند العرب حين أشار إلى الأمم والقبائل والأنبياء السابقين ، وقص عليهم قصص الأمم الخالية بهدف إثارة العبرة فى نفوسهم (٢٤) ٠

وكلمة " تاريخ " فى لغتنا هى المقابل لكلمة History فى اللغة الإنجليزية ، وكلمة Histoire فى اللغة الفرنسية ، وكلاهما مشتق من الكلمة اليونانية Historia بمعنى التعلم أو المشاهدة ، أى كل ما يتعلق بالإنسان منذ بدأ يترك آثاره على الأرض (٢٥) ٠ وقد استعمل أرسطو كلمة " هستوريا " بمعنى السرد المنظم لمجموعة من الظواهر الطبيعية سواء جاء ذلك السرد وفقا للتسلسل الزمنى أم جاء غير كذلك ، ولا يزال هذا الاستعمال شائعا فيما نسميه " التاريخ الطبيعى "٠

كذلك هناك من يقول أن كلمة Historia رومانية تعنى البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة ، ثم تدهور استعمال هذه الكلمة فى اللاتينية حتى استعادت قيمتها فى اللغات الحديثة ٠ وهذا السياق يعنى عند البعض أن أصل كلمة تاريخ غربى وليس شرقيا ، واستند عدد من أصحاب هذا الرأى على أنها مأخوذة من كلمة أرخى Arche

اليونانية ، بمعنى بداية أو حكم ، وأرخايوس Archaios بمعنى قديم ، ويعتمدون فى ذلك على أن التاريخ ما هو إلا ذكر للأحداث من قديمها إلى حديثها (٢٦) ٠

طبيعة التاريخ وموضوعه :

لابن خلدون عبارة دقيقة المعنى ، عميقة المغزى تشير لنا إلى طبيعة التاريخ وموضوعه ، وإن شابت هذه العبارة ثغرات وعيوب سننبه إليها حين تدعونا الحاجة إلى مناقشتها ، ويكفينا هنا قوله (٢٧) : " ٠٠ أما بعد ، فإن فن التاريخ من الفنون التى تتداولها الأمم والأجيال ، وتشد إليها الركائب والرحال ، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال ، وتتنافس فيه الملوك والأقيال ، ويتساوى فى فهمه العلماء والجهال ، إذ هو فى ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول ، تنمو فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال ، وتؤدى إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال ، وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق وجدير بأن يعد فى علومها خليق " ٠

وهذه عبارة تدل على فهم ذكى لطبيعة التاريخ ووظيفته ، فهو " فى باطنه نظر وتحقيق " ، أى تفكير فى طبائع البشر وتكوين مجتمعاتهم وبحث عن أسباب الحوادث وتحليل لنتائجها ، فهو على هذا ، كما يقول مفكرنا العظيم ، " أصيل فى الحكمة عريق وجدير بأن يعد فى علومها خليق " ، والحكمة فى المفهوم العربى هى أعلى مراتب العلم ، فهى الفهم العميق وقد قرنها الله سبحانه وتعالى بالكتب السماوية والقرآن الكريم ثمانى مرات ، وعبارة (الكتاب والحكمة) عبارة قرآنية لا تزال تتردد فى الأسماع والقلوب (٢٨) ٠

وقال "ملا جلبى " أن " علم التاريخ هو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم ، وأنسابهم ووفياتهم ، إلى غير ذلك ، وموضوعه أحوال الأشخاص الماضين ٠٠ والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية ، وفائدته العبرة

بتلك الأحوال والتنصح بها ، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن " (٢٩) ٠

أما مؤرخنا الشهير " الجبرتى " فيقول : " اعلم أن التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم ٠ وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم ٠ والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هى ، وكيف كانت على تقلبات الزمن ليحترز العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الأمم المذكورة السالفين ، ويستجلب خيار أفعالهم ، ويتجنب سوء أقوالهم ، ويزهد فى الفانى ويجتهد فى طلب الباقى " (٣٠) ٠

فهاهى أقوال الجبرتى تكاد تكون مجرد شرح وتوضيه لما ذكره صاحب (كشف الظنون) ، وهذا وذاك يرددان ما كتبه سابقوهم ، فالكافيجى يقول أنه : " علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله ، وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته " (٣١) ٠

وعند السخاوى ، التاريخ : " فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت ، بل عما كان فى العالم " أما موضوعه : " فالإنسان والزمان ، ومسائله : أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان وفى الزمان " (٣٢)٠

ولعلنا بعد هذا نستطيع أن نقول أن التاريخ هو دراسة الحوادث أو هو الحوادث نفسها (٣٣) ٠ وسواء أكانت الحوادث صغيرة أم كبيرة ، محسوسة أم غير محسوسة ، قصيرة الأمد أم طويلته ، فإن الجامع بينها هو أن الحال قبلها يختلف عنه بعد وقوعها ، فالعالم قبل ظهور الإسلام يختلف عن العالم بعده ، والدنيا بعد حرب السويس أو حرب أكتوبر أو حرب الخليج الثانية تختلف عنها بعدها ، والفكر الإنسانى قبل ماركس يختلف عنه بعده ٠٠ وهكذا ، فالعبرة فى الحوادث التى هى مادة التاريخ هى أن تعنى تغيرات

الأحوال ، سواء أكان هذا التغيير كبيرا أم صغيرا ، محليا أم عالميا ، وأحداث التاريخ إذن هى تغيرات ٠

وإذا كان التاريخ فى حقيقته هو الحوادث ، وكانت الحوادث هى التغيرات ، والتغيرات وليدة الزمان أو سير الزمان ، انتهينا إلى أن التاريخ هو الزمان ، ويكون من أثر اهتمام المؤرخ على هذا هو دراسة تغير طرأ على الكون والأرض وكان له تأثير على حياة البشر (٣٤) ٠

ويتكون التاريخ من وقائع حدثت مرة واحدة وإلى الأبد ، بينما يتكون العلم من حقائق قابلة دائما لأن تعود ، وما ذلك إلا لأن التاريخ - كما أوضحنا - يقوم على الزمان ، وأول خاصية من خصائص الزمان عدم قابليته الإعادة Irreversibilite ، لأن الصفة الرئيسية للزمان هى الاتجاه ، والاتجاه يقتضى السير قدما دون تراجع أو تخلف أو تكرار ، ومهمة علم التاريخ أو التأريخ أن يقوم بوظيفة مضادة لفعل التاريخ ، ألا وهى أن يحاول أن يسترد ما كان فى الزمان ، لا ليتحقق فعليا فى مجرى الأحداث ، فهذا ما ليس فى وسع أى كائن أن يقوم به ، بل إن الله عز وجل لا يجعل شيئا قد كان يتكرر هو نفسه مرة أخرى كما أنه لا يجعل شيئا كان لا يكون قد كان ٠

وأما مهمة التاريخ فهى أن يحاول أن يستعيد فى الذهن وبطريقة عقلية صرفة ما جرت عليه أحداث التاريخ فى مجرى الزمان ، محاولا أن يتصور مجرى هذه الأحداث وكأنه فى اطراد موجه (٣٥) ٠

وقد اعتبر بعض الكتاب أن التاريخ يشتمل على المعلومات التى يمكن معرفتها عن نشأة الكون كله بما يحويه من أجرام وكواكب ومن بينها الأرض ، وما جرى على سطحها من حوادث الإنسان ٠ وبدأ المؤرخون الأقدمون كتاباتهم بالكلام عن نشأة الأرض ٠ ومن المحدثين نجد المؤرخ " ولز H.G.Wells " (١٨٦٦-١٩٤٦) يبدأ كتابه فى " موجز تاريخ العالم " بدراسة نشأة الكون والأرض ، وما ظهر على سطحها من مظاهر الحياة المختلفة ، وهو فى ذلك يفعل كما يفعل المصور أو المثال الذى يعمد إلى تشريح جسم الإنسان أو الحيوان ، حتى يمكنه أن يرسم الصورة أو يصنع التمثال

على أفضل وجه مستطاع ، ثم يتدرج ولز معبرا فى ذلك عن وحدة البشرية ، على الرغم من جزئيات تواريخها وتفصيلاتها (٣٦) ،

ولعل السند الذى استند إليه أصحاب هذه الوجهة من النظر أنه حيثما يكون تغير يكون تأريخ ، والتغير يتناول كل مظهر من مظاهر الطبيعة والإنسان ، من أعظم المجرات إلى أدق الذرات ، ومن أصغر الخلايا الحية إلى أضخم المجتمعات الإنسانية وأشدها تعقدا ، لكن التقليد التاريخى قد حصر نفسه بجزء من أجزاء هذه الصيرورة الشاملة : وهو الجزء الذى يتعلق بالإنسان ، أما الصيرورة فى عالم الطبيعة ، وفى الكائنات الحية غير الإنسانية ، فهى من نصيب علوم أخرى : كعلوم الفلك وطبقات الأرض والحيوان والنبات .. وما إليها ، فلكل من هذه العلوم اهتمامها بالوحدة التكونية التطورية من مادتها أو لا يدخل هذا الاهتمام فى نظام الوظيفة التى أخذها على عاتقه التأريخ بمعناه التقليدى المحدود (٣٧) ،

ومع ذلك فإن (الماضى البشرى) ذاته يحتاج إلى تحديد ، فالتطور الذى جازه جسم الإنسان إلى أن أصبح إنسانا لا يدخل فى نظام علم التأريخ ، بل يتناوله علم الأحياء ، أو بالأحرى علم خاص من مجموعة علم الأحياء هو علم (الباليونتوجيا البشرية) وتفرع الإنسان إلى أجناس ، والعوامل التى أدت إلى هذا التفرع والمراحل التى قطعها هى نت اختصاص علم معين هو علم الأجناس (الأنثروبولوجيا) الطبيعى ، فالتاريخ يتناول الإنسان منذ أن اكتمل تكوينه الطبيعى وانقسم إلى أجناسه وأسره المعروفة ، وبدأت تنبثق إنسانيته ، بل إنه يتراجع عن هذا الحد الأول ، ويكتفى الإنسان منذ أن مارس الكتابة واكتشف المعادن وأنشأ أجهزة الحكم الأولى ، ومنذ أن بدأ يعى نفسه ويستغل الطبيعة وينتظم فى مجتمع ، وبعبارة أخرى (٣٨) منذ أن أصبح إنسانا اجتماعيا ، أما التطورات السابقة لهذا الحد ، وهى أطول زمنا وأبعد غورا وأكثر بطنا ، فتقع ضمن ما اعتيد أن يدعى (قبل التأريخ) ، ولها اختصاصيوها والباحثون المتفرغون لها وهم يعملون باتصال وتساند مع علماء الآثار من جهة ، والمختصين بعلم الأنثروبولوجيا الثقافى من جهة أخرى ،

وللمؤرخ الإنجليزى " آرثر مارفيك " Arthur Marvic كتاب هام يسمى " طبيعة التاريخ " The Nature of History كثف د٠حسين مؤنس على جزء هام منه ، يرى فيه المؤرخ الإنجليزى أن لفظ التاريخ يستعمل عادة فى ثلاثة مستويات من المعانى (٣٩) :

الأول : أن التاريخ يمكن أن يعرفنا بماضى البشر كله كما حدث ٠ ولا شك أن الحياة تكون أبسط إذا استطعنا أن ندع هذا التعبير جانبا ونأخذ بدلا منه لفظ (الماضى) الذى يحمل فى طياته أكثر من معنى ، ولكن اللغة ملك للجميع ، وهى أحيانا تفهم فهما خاطئا أو يستعملها الناس استعمالا سيئا ، ولا يمكن أن يكون استعمالها وتفسيرها تحت رحمة جماعة الأكاديميين المتحذلقين ٠ وحتى أولئك العلماء الذين أعلنوا على الملأ أنهم كفوا عن استعمال لفظ التاريخ فى هذا المعنى سيجدون أنفسهم فى مرحلة ما مراحل عملهم يخونون أنفسهم ، لأنه من العسير جدا أن يتجنب الإنسان استعمال عبارات ثقيلة الوزن مثل قولنا : " ليس التاريخ من عمل الأبطال " أو " لقد آن الأوان ليتبين للناس أن التاريخ كنز من كنوز المعارف " ٠

والاستعمال الثانى الأكثر فائدة هو أن التاريخ يعنى أيضا محاولة الإنسان وصف الماضى وتفسيره ، وهو – كما قال أحد المعنيين – " المحاولة التى تبذل للكشف عن الأشياء المهمة فى الماضى على أساس من شواهد جزئية ماضية " (٤٠) وهذا هو التاريخ الذى نعنيه عندما نتحدث عنه كضرورة اجتماعية أو عن التاريخ كصناعة ، وهذا هو أقرب المعانى إلى المفهوم الأصلى للفظ التاريخ عن الإغريق ٠

أما الاستعمال الثالث ، فهو الدراسة المنهجية للتاريخ ، أى دراسة التاريخ كعلم Discipline ، وسوف نناقش هذه القضية بالتفصيل فيما بعد ، وهذه الدراسة المنهجية ظاهرة حديثة تقررت فى جامعات غرب أوربا وشمال أمريكا فى القرن التاسع عشر فقط متأخرة بذلك كثيرا عن دراسات الفلسفة واللغات والرياضيات والعلوم الطبيعية ، وصدق د٠مؤنس حين علق على هذه الفقرة بأن الحكم هنا ينصب على أهل الغرب فقط ، أما بالنسبة للعرب ، فإن التاريخ كعلم كان مقررا ومعترفا به ، وكان

يدرس ويدرس منذ القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى لضرورته لتفسير القرآن والحديث ومعرفة رجال السند (٤١) .

وإذا كان موضوع التاريخ هو دراسة الماضى إلا أن هذه الدراسة ليست غاية فى حد ذاتها ، ويحق لنا أن نقول مع المؤرخ الإيطالى " بندتو كروتشه " إن التاريخ كله هو تاريخ الحاضر فنحن لا نبغى حقا من دراسة التاريخ غير التعرف على الإطار الذى نعيش فيه ومعرفة أصوله ، ولا يتسنى لنا معرفة الحاضر وتفسيره ما لم ندرك الماضى بالبحث فى حقيقة وجوده . والواقع أن كل ما يتناوله التاريخ بالبحث حاضر موجود ، أما ما مضى وانقطع وجوده فلا سلطان للتاريخ عليه ، ولا يستطيع المؤرخ فى هذا الميدان أن ينزع إلى الخيال والتصور ، فكل ما يند عن الحقيقة الموثوق فى صحتها يبعد بعدا بينا عن الحقيقة التاريخية التى يستند إليها المؤرخ فى معرفة الصورة الحقيقية للماضى (٤٢) .

ولقد كان الناس فيما مضى ، والمرؤرخون فى مقدمتهم ، يوجهون عنايتهم إلى الوقائع الحربية والتقلبات السياسية ويعتبرونها لب الماضى وجوهره الحرى بالاعتبار، وإذا اهتموا بسواه ، أتى اهتمامهم جزئيا سطحيا وبدا فى نتف ضئيلة مشتتة لا تدخل فى صلب التأريخ ولا تبدل صفته الغالبة كسجل للحكام وللحروب ، أما المعنى الذى نعرب عنه فى تعريفنا ، والذى ينتشر اليوم بين المؤرخين ، وفى شرائح المثقفين عامة ، فهو ذلك الذى يشمل الحياة البشرية الماضية بجميع مظاهرها ، فالنظم الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية ، والاعتقادات الدينية أو المذاهب الخلقية والأساليب الأدبية والفنية ، كلها تدخل من حيث تطورها الماضى وفى نطاق العناية التأريخية ، لأنها كلها وجوه لحياة واحدة . ولقد كانت الأحداث السياسية والوقائع الحربية أبين من سواها وأشد جذبا للنظر لما يصحبها من صخب وضجيج ، فإن الأحداث الأخرى الأكثر خفاء - كالتطورات الاقتصادية أو الاجتماعية أو العقلية - لا تقل عنها أهمية وفعلا ، بل كثيرا ما تكون هى العاملة وراءها المسيرة لها (٤٣) .

هذا من حيث التاريخ العام ...

لكن ٠٠ لما كان النشاط البشرى متنوعا ، ولما كانت المعرفة التاريخية تزداد غزارة يوما بعد يوم ، نشأت فروع يسمى كل منها باسم نوع النشاط البشرى الممارس ، فهذا تاريخ اقتصادى ، وهذا تاريخ أدب ، وهذا تاريخ فن ٠٠ الخ ، وكان لابد – قياسا على هذا – أن يكون هناك تاريخ للتربية ، ومن هذا المنطلق ، تجىء دراستنا عن التأريخ للتربية والتعليم ، باعتبار العملية التربوية هى تلك العملية التى تعنى بتشكيل وصياغة الشخصية الإنسانية سواء وفق تنظيم مقصود كما نرى فى مؤسسات ومعاهد التعليم ، أو تتم بصيغة غير نظامية كما نرى بالنسبة للأسرة وأجهزة الإعلام ودور العبادة ، مثلا ٠

وعلى هذا إذا أردنا أن نكشف عن موضوع هذا التاريخ التربوى ، سنجد أنه يشمل المجالات التالية :

١ – **تطور المؤسسات التربوية** ، مثل المدارس والمعاهد والجامعات والمساجد والكتاتيب ٠ وإذا كانت تلك المؤسسات تقدم غالبا ما يمكن تسميته بالتعليم النظامى المتخصص ، فمن الممكن للباحث أن يدرس تطور مؤسسات أخرى كانت تقدم تعليما لا نظاميا ، وخاصة فى العصور القديمة والوسطى ، مثل الأسرة ، وعدد من دور العبادة ٠

٢ – **تطور الأفكار والآراء والفلسفات التربوية التى قال بها الفلاسفة والمفكرون** بصورة صريحة ، أو تلك التى تكمن وراء الوقائع والأحداث بصورة ضمنية ، فابن خلدون ، على سبيل المثال كتب كلاما صريحا مباشرا عن الأضرار التى تلحق بمن نربيه إذا استخدمنا معه وسائل تقوم على القهر والشدة ، وهذا مما يدخل فى باب الفكر التربوى (الصريح) ، لكننا ، من خلال استقراء بعض أساليب التربية والتعامل بين الآباء والأبناء فى الأسرة فى المجتمع المسلم ، فى العصور الإسلامية ، نستطيع أن نقف على عنصر آخر من عناصر الفكر التربوى (غير المباشر) ٠ وهذا النوع بالذات هو ما نضطر إلى دراسته عندما يكون العهد موضوع الدراسة واقعا فى عصور قديمة بصفة خاصة ، حيث ندرة الكتابات التربوية ٠

٣ - تطور التنظيمات التربوية ، ونعنى بها (القواعد) و(اللوائح) و(القوانين) التى تنظم النشاط التربوى ، ومما يدخل فى هذا المجال دراسة كل مرحلة من مراحل التعليم ، والقواعد والتنظيمات التى توجه سير العمل بها ، ومثال ذلك دراسة تعليم المرحلة الابتدائية فى بلد من البلدان فى فترة من الفترات .

وبطبيعة الحال ، فلا انفصال بين كل مجال وآخر ، إذ التداخل قائم والاتصال وثيق بينها .

نشأة التأريخ وتطوره :

ظهر التأريخ أول الأمر بصورة بدائية حين أخذ الإنسان القديم فى فجر الحضارة يقص على أبنائه قصص قومه ويروى الأساطير والمعتقدات الدينية ، فالتأريخ إذن قرين للحضارة ، ولقد بدأ الإحساس به فى ذهن البشرية منذ أقدم العصور حين كان الإنسان يسجل الأحداث بالرسم والنقش على الحجر ، ومع تطور الحضارة وازدهارها أخذ التأريخ يشكل أساسا جوهريا فى تسجيل الأحداث ، وأضحى بمثابة السجل الذى يحفظ ألوانا من الأحداث والأفكار والأعمال .

وتجمعت المعلومات التاريخية بصورة تدريجية حين أراد الناس أن يركنوا إليها ويفيدوا منها فى حياتهم وأعمالهم ، فلا تكاد تمر بالإنسان لحظة دون أن ترتد إلى ذهنه ذكريات عن أحداث الماضى التى عفا عليها الزمن ولكنه عرفها وسمع عنها (٤٤) .

وهكذا يبدأ التاريخ فى أبسط صوره حين يستعيد المرء من بين ذكرياته المتناثرة ما يصلح لأن يكون نموذجا لأعماله التى ينوى القيام بها .

ومن هنا يمكن القول بأن الأصل فى التاريخ هو إدراك الإنسان لحقيقة وجوده الاجتماعى حين أخذ يكون أسرة يحرص عليها ويعيش فى كنفها ويورث أبناءه تجاربه من القصص التى يقصها عليهم مما غير من أحداث حياته ، ولعله كان يشير فى هذا

القصص إلى ما ورثه أبوه من تجاربه أيضا ، وهذا هو دور التاريخ الأزلى الذى يقوم به إلى الوقت الحاضر حين يسوق إلينا الحكمة والموعظة من خلال التجربة الماضية حتى تتم لنا فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه كما يقول مفكرنا العظيم ابن خلدون (٤٥)

ولعلنا لا نخطىء إذ نتصور رجل الكهف وقد زين كهفه بتلك النقوش البدائية التى تصور حياته ليراها ويدرك من يأتى بعده من بنيه أو عشيرته ، ولعلنا نخطىء إذا قلنا أن تلك الصور التى حفظتها لنا كهوف الإنسان الأول هى ما دون الإنسان من تاريخه .

وقد لا نخطىء أيضا إذا قلنا أن التدوين التاريخى يسبق بكثير اهتداء الإنسان إلى الكتابة ، إذ عمل الإنسان الأول على أن يصور حياته ويسجلها فى تلك الصور التى حفرها على جدران كهفه البدائى ويسبق التاريخ مرحلة التدوين التاريخى بمراحل ، إذ أنه قديم قدم الحياة الإنسانية على الأرض وإن لم يصل علمنا إليه إلا من ثنايا الحفريات والتى تكشف كل يوم عن الجديد من حياة الإنسان الأول أو تطور الحياة على الأرض (٤٦) .

ولكن علمنا بالتاريخ لا يصل إلا إلى عدة آلاف من السنين ، وهى عمر قصير إذا قيس إلى الحياة الإنسانية المديدة .

ويندر أن نجد شعبا قديما حرص على أن يسجل تاريخه مثل ما سجله به الشعب المصرى من عناية وتفصيل ، بل إن هناك من هو أهم من ذلك ، وهو أن المصريين القدامى كانوا على إحساس دقيق بالتاريخ وثقة تامة بأهميته ، ومن ثم حرصوا على أن يخلدوا تاريخهم ، فلا يضيع ، وتظل سجلاته تروى للأجيال أخبار انتصاراتهم على الطبيعة وعلى الناس وعلى ذوات أنفسهم كذلك (٤٧).

فقد بدأ المصريون القدامى صناعة التاريخ عندما كونوا أول جماعة منظمة يحكمها القانون وتتجدد أحداثها كل يوم ، وكانوا يسجلون أحداثه وهم يصنعونه ، أى كانوا يضعون أساس علم التاريخ وهم يصنعون التاريخ ، سجلاتهم التاريخية هى الحد الفاصل بين التاريخ على أكثر من معنى : صنعوا أحداثه وهم يستخلصون بيئتهم الطبيعية شبرا شبرا من يد التوحش ويستخلصون إنسانيتهم صفة صفة من يد الهمجية

، وصنعوا وثائق وهم يسجلون حياتهم خبرا خبرا على جدران المعابد والمقابر ، واخترعوا الكتابة حرفا حرفا فى أثناء صراعهم مع ذاكرتهم ، ورسموا فلسفته وهم يضعون القيم الروحية العليا والمثل الأخلاقية الرفيعة مبدأ مبدأ فى سياق طرد الحيوانية من أنفسهم ، وحولوا حياتهم من البداوة إلى دولة منظمة ذات حكومة وذات قوانين ، ومن الانفرادية إلى جماعة راقية لها آداب وعقائد ، وبدأوا التأريخ كعلم ، ويكفى أن نعرف أن أول حادثة مؤرخة فى تاريخ الإنسانية ، هى اختراع التقويم الشمسى على يد المصريين سنة ٤٢٤١ ق٠م (٤٨)٠

وفى بابل ، أخذت الكتابة التاريخية صورة الرسوم المنقوشة على المبانى ، كما ظهرت عند الآشوريين وثائق وحوليات ملكية فى تسلسل حول مغامرات الحكام فى الحروب والصيد والقيام ببناء بعض القصور ، وإن لم يظهر أثر للحاسة التاريخية الناقدة فى هذا التسجيل البدائى للتاريخ ، وكان الهدف من هذه النقوش تمجيد الحاكم وإعلاء شأنه فى نظر الأجيال التالية ، وكانت الحقائق التى تزرى به وتشوه ذكراه تحذف جميعها ولا يشار إليها وتغلب على تلك الوثائق المبالغة والتهوين والروح الدينية ، ونسبة المبانى المشيدة إلى الآلهة (٤٩) ٠

ولعل أقدم الوثائق التاريخية فى العراق القديمة ، إنما تمثل تلك الى كتبها السومريون ، فمثلا قائمة الملوك السومرية ، والتى تتحدث عن حدوث الطوفان ، إنما كتبت بالخط المسمارى بعد عام ٢٠٠٠ ق٠م ، وإن كان يبدو أنها نسخت عن قوائم قديمة ، ربما ترجع إلى أخريات العهد الأكدى (٢٣٧٠-٢٢٣٠ق٠م)، وعلى أية حال ، فإنها متضمنة معلومات تاريخية ترجع إلى بداية العصر التاريخى فى العراق القديم ، وربما ترجع إلى أقدم من ذلك (٥٠) ٠

وقد مرت الكتابة التاريخية فى أطوار متعددة ، ففى وقت كان التاريخ مجرد سرد للأحداث أو تدوينها كما هى دون نقد أو تمحيص أو محاولة للتثبت من صحتها ٠ ويرى البعض أن أول صورة دون بها التاريخ كانت فى صورة قصصية ٠

وعلى الرغم مما أصبح معروفا عن قصص دونت فى حضارتى مصر والعراق القديم ، فإن هناك من يحاول أن يرجع أن أقدم التواريخ المدونة هى ما جاء فى أسفار

التوراة والعهد القديم ، حيث ذكرت الأخبار الأولى عن الأحداث التى مرت بالخليقة منذ نشأتها الأولى (كقصة خلق الإنسان ، وقابيل ، وهابيل والطوفان ٠٠) (٥١) ٠

وتدل عناوين أسفار العهد القديم على الأحداث والأخبار التى تناولها كل سفر ، فمثلا سفر الملوك الأول والثانى تناول أخبار إسرائيل ويهوذا ، وسفر الخروج يتناول على الخصوص خروج بنى إسرائيل من مصر ، والمزامير تتعلق بمزامير داود النبى ٠

وهكذا تمدنا الكتب السماوية بالمعلومات التاريخية الأولى عن حياة الإنسان وعن علاقته بالكائنات الأخرى ، بل وعن علاقات الإنسان بأخيه الإنسان منذ أن بدأت تتكاثر الخليقة على الأرض ، باعتبار أن الأرض هى المسرح ، وأن التاريخ هو التمثيلية التى تدور فصولها على هذا المسرح عبر العصور ٠

وفى القرن الثالث قبل الميلاد ظهرت " حوليات مانثيون المصرى " Manetho وهو كاهن قديم عاش فى بلده سبنيوتس Sebennytus "، سمنود الحاضرة " ، على عهد " بطليموس الأول " و" بطليموس الثانى" وضع باليونانية تاريخا لقدماء المصريين استمده من مصادر مصرية قديمة ، وقد ضاع مؤلفه ولم تبق منه إلا نبذ يسيرة انتفع بها علماء العاديات المصرية انتفاعا كبيرا (٥٢)٠

وكذلك ظهر فى نفس الفترة تاريخ بابل " لبيروسوس " Berossus ، وهو كاهن بابلى قديم ، عاش فى زمن ملك الشام " أنطوخوس الثانى " (حوالى ٢٥٠ق٠م) ، كتب باليونانية تاريخا لبابل استمده من مصادر بابلية قديمة ، وقد ضاع كتابه إلا نتفا يسيرة مضمنة فى كتب يوسفيوس وأوزبيوس ، وما ذكره عن الطوفان وجد مطابقا لما جاء فى النقوش السماوية ٠

والغربيون مولعون بالتأكيد على أن البداية العلمية إنما كانت نتاج عقل غربى وشمس المعرفة المضبوطة إنما أشرقت على أرض غربية ، فإذا ما ووجهوا بالسبق الزمنى لحضارات الشرق ، أسرعوا إلى اتهامها باللامنهجية واللامنطقية واللاعلمية ، ونجد نموذجا لهذا النمط من التفكير فيما ذكره " كولينجوود" من أن التأريخ الذى شهدته بلاد الشرق هو " ما يشبه التاريخ " (٥٣)، والسبب فى ذلك هو ما أشار إليه

من أن الفكرة التى عبر عنها فى وثيقة قديمة يرجع تاريخها إلى عام ٢٥٠٠ ق٠م تشبه التاريخ فيما تسوقه من بيانات عن الماضى ، ولكنها تختلف عنه من عدة وجوه : أولها أن هذه البيانات ليست أجوبة على أسئلة وليست وليدة البحث ، ولكنها مجرد أفعال تردد ما يعرفه الكاتب بالفعل ، وثانيها أن هذه الأفعال التى سجلت ليست من قبيل جهود الإنسان ، ولكنها على نحو ما يبدو لأول وهلة من الأفعال الإلهية ، تفصيل ذلك أن الناس تصوروا الآلهة على نسق الآدميين من الحكام يملون إرادتهم على الخاضعين لهم ٠

والتاريخ الذى من هذا النوع ، هو الذى يطلق عليه " التاريخ الدينى " ، ولا يقصد بكلمة تاريخ هنا التاريخ بمعناه العلمى أو بمفهوم الكلمة ، وإنما يقصد عرضا لجانب من الحقائق المعروفة ، ولكنها فى نفس الوقت مجهولة بالنسبة لقوم آخرين يعبدون إلها بالذات ، ومن ثم وجب عليهم أن يكونوا على علم من شواهد وجوده فى الخلق (٥٤) ٠

وإذا كانت النزعة التى غلبت على التفكير الشرقى هى النزعة الدينية ، فقد غلبت على تفكير الإغريق نزعة أخرى هى النزعة الدنيوية وما يرتبط بها من ميل إلى " تعقل الأشياء " ، هكذا يقول " هرنشو " (٥٥) ، وفى هذا ما يعكس مقولة تحتاج إلى مناقشة طويلة ليس هنا موضعها ، وهى نفى " التعقل " عن التفكير الدينى وقصره على التفكير الدنيوى ٠

شرع شعب الإغريق ابتداء من حوالى سنة ٢٠٠٠ ق٠م يهبط غازيا ومتطفلا أقاليم تأصلت فيها مدنيات البحر الأبيض المتوسط : مدنيات إقريطش ، ومصر ، وآسيا الصغرى ، وكانت مدينة إقريطش أو المدينة المينوية ، أول مدينة اتصلوا بها وأكثروا الأخذ عنها ، وكانت أصول أساطير تلك المدينة تخالف أصول أساطيرهم ، فقد نشأ عن تصادمهما فى العقل الإغريقى نوع من الشك أفاد الإغريق كثيرا إذ أصبحوا – هكذا يؤكد الباحثون الغربيون – ينظرون إلى الأشياء على حقيقتها ، غير مشوبة بشائبة الخرافة ، وأقبلوا يتعرفون العلل الطبيعية لظواهر كانت حتى وقتهم تضاف إلى ما لا يحصى من أهواء آلهة لا تحصى ٠

وعندما قام " طاليس الملطى " Thales of Militus (٦٤٠-٥٤٦ ق٠م) فتنبأ بكسوف الشمس سنة ٥٨٥ق٠م وتحقق تنبؤه ، كان ذلك إيذانا عند الباحثين الغربيين بمفتتح عصر جديد فى تاريخ تحرر العقل البشرى ، لقد تملك الإغريق من ذلك اليوم شغف بالبحث أو ما يسمونه باليونانية (إيستوريا Historia)، أى تاريخا ، وكانت شئون الجنس البشرى أول موضوع انصب عليه ظمؤهم إلى الاستطلاع ، فطوفوا فى الآفاق ودرسوا مدنيات الشرق القديمة ، وجاهليات الغرب الحديثة ، واستثاروا أسرار الماضى ، ولم يقر لهم قرار دون الوصول إلى ما تصوروه تفسيرا ٠

وأكد " توينبى " على أن المؤرخين الهيلينيين - الإغريق - (خاصة أعظم هؤلاء المؤرخين) لم يكونوا من أصل هيلينى خالص ، فقد جاء " هيرودوت " من مجتمع (هاليكارناسى) الذى يتحدث باللغتين الهيلينية والكارية Carian و" ثوكوديدس " رغم أنه أثينى المولد وظل مواطنا أثينيا (حتى وقت نفيه) ، فقد جرت فى عروقه دماء تراقية Thracian ، وكان " يوسوفوس " Josephus يهوديا و" بركوبيوس " فلسطينيا ، وقد جرت العادة منذ عصر الإسكندر ومن تلاه على عدم الإشارة إلى أن المؤرخين الهيلينيين قد وفدوا من سائر الشعوب التى ذاعت بينها بشارة الهيلينية تدريجيا ، وبهذه الصورة ، فإن المدرسة التاريخية الهيلينية لم تقصر نفسها على اللغة اليونانية (٥٦) ٠

وأول من نعرف من مؤرخى الإغريق " هكتيوس " Hecataeus ، وكان من مواطنى طاليس ، ولد فى الملطية سنة ٥٤٦ ق٠م أو حواليه ، وهو نفس العام الذى توفى فيه ذلك الفيلسوف الكبير ٠ كتب هكتيوس فى أصل الشعب الإغريقى ، وفى تجولاته الأولى ، ومع أنه كان كثير الخطأ ، فإن روحه كان سليما وعقله علميا ، كان يقول " لست أثبت هنا إلا الحكاية التى أعتقد صحتها فإن أساطير اليونان كثيرة وهى عندى حديث خرافة " (٥٧) ٠

والعالم الغربى مدين باسم (التاريخ) على أنه الرواية العظيمة للأحوال والأحداث الماضية إلى هيرودوت ، والأصل اليونانى من الكلمة معناه البحث أو التعلم عن طريق البحث ، أو المعرفة التى يحصل عليها بهذه الطريقة مهما يكن موضوعها ٠ ولقد بحث

" هيرودوت " فى أثناء رحلاته فى معظم أجزاء العالم الذى كان معروفا للإغريق فى القرن الخامس قبل الميلاد عن الأشياء التى بدا له أنها ممتعة أو خالدة ، وحصل على قدر كبير من المعلومات المتعلقة بماضى الجهات التى زارها وحاضرها . وهكذا كان بحثه . على أن الرواية التى صاغها ليعرض (مادة بحثه) قد أثرت تأثيرا عميقا فى الإغريقية حتى أنهم أطلقوا لفظ Histoire أو Historia فى القرن التالى على ذلك النوع من الكتابة الذى مارسه " هيرودوت " أى رواية الأحداث الماضية (٥٨) . وبهذا المعنى المحدود انتقل الاصطلاح إلى اللغة اللاتينية Historia، ومنها إلى اللغات الحديثة فى أوربا وأمريكا ، وترتب على هذه العلاقة بين المعنى المحدود للاصطلاح وبين ما كتبه " هيرودوت " ، وإن لم يكن أول من كتب ، ما يعرف الآن باسم (التاريخ) ، أن أعطى لقب (أبو التاريخ) .

واصطنع " ثوسيديدس " Thucydides فى تاريخه معايير من الدقة أدق ، وقد عاصر حرب البلوبونيز ، فقد بدأ " ثوسيديدس " يكتب عندما بدأت الحرب واستمر فى تسجيله حتى ٤١١ ق.م، وكان غرضه أكبر من مجرد تسجيل الأحداث العامة بأسلوب ممتع ، بل إنه افترض أن روايته قد تكون " مملة للسمع " ، ولكنه أضاف ، " على أن من يبغى أن يحدد أمام عينيه صورة حقيقية عن حوادث الماضى والحوادث المماثلة التى قد ينتظر أن تقع من بعيد فى أمور الإنسان ، فإنه سيحكم على ما كتبت بأنه مفيد وهذا يرضينى " . وهكذا كان غرضه تثقيفيا صرفا ، وكان أمله أن يعطى كتابه للقارىء دروسا فى السياسة ، لا لأنه كتبه على هذا النحو ، ولكن لأن التصوير الحقيقى للحوادث والأحوال السياسية يتضمن فى حد ذاته دروسا فى السياسة ، فكان ما كتبه تاريخيا تثقيفيا وما زال فى هذا الميدان نموذجا (٥٩) .

وإذا كان الإغريق قد فطنوا - ربما قبل القرن الخامس - إلى وجود عالم إنسانى يتألف من مجموعة من الوحدات الاجتماعية الجزئية ، فإن الوحدة التى ينهض عليها هذا العالم كانت وحدة جغرافية - فى نظرهم - وليست وحدة تاريخية ، ولهذا لم يدركوا وجود فكرة تاريخ عام ينظم أحداث العالم وتطورها . ولما كان منهجهم فى البحث التاريخى يستند - فيما يستند إليه - إلى أفعال العباد ، فقد اقتصر بحثهم على نطاق محدود من الأحداث بالقدر الذى تتسع له الذاكرة الإنسانية .

ثم ظهرت فكرة العالمية فى عصر ما بعد " الإسكندر" ، وهو العصر الذى نسميه العصر " الهيلينستى " ، نتيجة غزوات الإسكندر ، وعاشت الفكرة فى العصر الرومانى وأصبح من المستطاع كتابة تاريخ من نمط جديد يمتاز بالوحدة الواضحة - بصرف النظر عن مداها - ويقوم بكتابته مؤرخون يجمعون المادة العلمية ممن سبقوهم من المؤرخين (٦٠) .

وكان المؤرخون الرومانيون يدورون فى كل ما يكتبون حول محور رئيسى هو روما ذاتها ، واعتبر المؤرخ نفسه صاحب رسالة فى زمن ، فهو يؤدى وظيفة وطنية حين يتحدث عن أمجاد وطنه ويهدى إليها مواطنيه .. وهذه روح مادية نفعية ، كان لها ولا شك أثرها الضار على روح البحث الحيادى ، وعلى النقد الهادف الرشيد ، واللهفة على المعرفة المجردة .

وهكذا حصر المؤرخون الرومان كل اهتمامهم فى روما ذاتها التى غزت شعوب الأرض واحدا بعد الآخر ، دون أن تعبأ حتى بمعرفة لغات هذه الشعوب ، فضلا عن آدابها وتقاليدها ، وبالتالى لم يهتموا بتدوين شىء عن هذه الشعوب الكادحة وركزوا اهتمامهم فى التحدث عن كبار القادة ورجال السياسة (٦١) .

وكان لتنصر قسطنطين (٣٠٦-٣٣٧ م) وظهور الكنيسة المسيحية على الوثنية الرومانية فى حدود القرن الرابع الميلادى أثر عميق فى فن التأريخ ، فقد تحول إلى أيدى القساوسة والرهبان وبقى فيهم طوال العصر الوسيط ، أى زهاء ألف سنة من الزمان ، وكان من وراء ذلك أن غدا التاريخ خاضعا للاهوت مسخرا له ، وأنه أصبح عملا تعليميا وهو ما لم يكن قط من قبل ، وأنه فقد كل صفة علمية كان يتصف بها وأصبح لا يكترث بحال لما هو حق أو محتمل الوقوع ، وأنه غدا مشحونا بأخبار الخوارق والكرامات غير معنى إلا بما له صلة بالدين ، وأنه فقد حاسة النظر إلى الأشياء موضوعة فى مواضعها (٦٢) .

غير أنه إذا كان المنهج الذى انتهجه آباء الكنيسة فى التأريخ قد قضى على علم التاريخ ، فإنه على سبيل التعويض عن ذلك ، كان المنشىء لفلسفة التاريخ ، ذلك أن

أوهام هؤلاء الآباء عن مجرى حوادث هذا العالم السفلى قد أدت ، على غرابتها ، إلى إمعان النظر فى أحداث التاريخ وعرضها كلا غير متجزىء (٦٣) .

وربما كان التقدم الملحوظ فى تأريخ العهد الأخير من العصور الوسطى ناشىء إلى حد بعيد من تأثير الحضارة العربية التى شملت العالم الإسلامى فى ذلك الزمان . لقد تماست النصرانية والإسلام فى الأرض المقدسة ، وما يجاورها ، وفى صقلية وجنوبى إيطاليا والأندلس ، ولم يكن هذا التماس بحال من الأحوال عدائيا ، لا فى جملته ولا فى نفس الأساس الذى قام عليه . لقد خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين ، فإذا هم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة (٦٤)

وكان تأثر التاريخ بالنهضة الأوربية عميقا وقويا ، فقد ترتب على هذه النهضة نتائج يمكن أن نذكر منها :

١- صبغ التاريخ بالصبغة الزمنية ، وتحول تدوين شؤون الدولة من رجال الدين إلى العلمانيين .

٢- تغيرت الكتابة التأريخية كنتيجة طبيعية لإحياء الدراسات القديمة واتجاه الإيطاليين بالذات إلى منابع هذه الحضارة القديمة أى إلى اللاتينية والإغريقية .

٣- ظهور روح النقد والتمحيص والتحليل للمراجع والمصادر الأصلية واستبعاد ما لا يثبت صحته منها .

وهكذا عاد إلى الظهور البحث الحر والنقد بعد أن تحطم ما كانت تفرضه الكنيسة على العقول والأقلام والكتابات من حجر وقيد .

كذلك كان لحركة الإصلاح الدينى التى تزعمها مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦م) آثارها العميقة على الدراسات الفلسفية عامة والتاريخ بوجه خاص ، فقد أدى هذا لأن يصبح للتاريخ قيمته ، فقد دفع البحث التاريخى بهدف الوصول للحقيقة فى هذا الصراع بين المتمسكين بالكاثوليكية والداعين للآراء الجديدة . والحقيقة أننا لم نشهد تهالكا على نبش أكداس التاريخ الكنسى المهجور كالذى حدث بسبب هذا التصادم بين

المتنافسين الكاثوليك والبروتستانت ، ولم يصل البحث التاريخى من القوة والهيمنة كما وصل خلال هذه المعارك (٦٥) ٠

وفى الوقت الذى بدأت فيه الظروف المتقدمة ، فضلا عن التراكم المعرفى ، تدفع بعملية التأريخ نحو المنهجية العلمية بدرجة أدق وبصورة أوضح ، بدأنا نرى بعضا من الرواد الممهدين للحركة العلمية ينزعون نزعة تعصبية تعزز الروح القومية الأوربية على حساب غيرها من الشعوب الأخرى ، فكأن التحليل التاريخى يسخر هنا لتغذية روح الاستعلاء الأوربى ، وكأنه بذلك يمهد بالتبريرات العلمية لحركة الاستغلال والنهب البشعة التى تمثلت فى الاستعمار الأوربى لدول الشرق خاصة ، ولعل خير مثال لذلك ، هو ما ذهب إليه " يوهان جوتفريد هيردر" J.G.Herder (١٧٤٤-١٨٠٣) ، الذى يعتبر بحق مؤسس المدرسة الألمانية فى علم التاريخ ٠

فلقد ذهب هيردر إلى أن البشرية التى اختلفت من حيث الجنس ، تصبح مرة أخرى مهدا أو تربة لنشأة كائن حى إنسانى من النوع السامى ، ويقصد به الكائن الحى فى مراحل تطوره التاريخية ، وبتعبير آخر جنس بشرى لن تكون حياته وضعا ثابتا لا يتغير أبد الدهر ، وإنما تكون مراحل تطورية كل مرحلة تدنيه إلى الكمال ، و" الوسط الطيب " الذى تنشأ فيه هذه الحياة التاريخية هو أوربا ، لما تتميز به من خصائص جغرافية ومناخية ، ولذا نجد فى أوربا وحدها أن الحياة الإنسانية ظاهرة تاريخية بمعنى الكلمة !! بينما لا نجد فى الصين أو الهند أو بين سكان أمريكا (طبعا قال هذا قبل ظهور الولايات المتحدة الأمريكية) ، تقدما تاريخيا يذكر (٦٦) ٠

وقد تميز القرن التاسع عشر بظهور الطريقة العلمية فى كتابة التاريخ ، وكان ذلك على يد مدرسة علمية من المؤرخين بزعامة المؤرخ الألمانى الشهير ليوبولد فون رانكه (١٧٩٥-١٨٨٦) الذى دعا المؤرخين إلى الاهتمام بالوثائق وآثار الماضى ، وذلك ليكون بحثهم عن الأحداث والأحوال الماضية دقيقا ، وكان شعاره دع الوثائق تتكلم بنفسها ٠ ولقد حاول رانكه مع أتباعه تطبيق طريقة دقيقة على الأساليب المتبعة فى البحث والتأليف التاريخى ، وذلك عن طريق الرجوع إلى الوثائق والمصادر الأولية ونقدها والتحقق منها (٦٧) ٠

والنظرية الأساسية التى جاء بها رانكه قوله أن التاريخ هو تصوير ما حدث بالضبط ، وبناء على ذلك قال المؤرخون بأن رانكه أعلن ميلاد التاريخ العلمى. ونتيجة لجهود رانكه وأتباعه ومؤيديه أصبح التاريخ علما له ميدانه الخاص به وله مناهجه وحدوده ، ولم يعد يعتبر نوعا من أنواع الأدب أو الفنون ، وبدأت الجامعات تخصص له الكراسى وتهتم بتدريسه . وقد صرح العالم بايكل وأنصاره مرارا أنه إذا لم يعتبر التاريخ علما وضعيا فلا قيمة له على الإطلاق فى بناء الأخلاق وهداية الناس . ورغم أن هذه النظرة العلمية للتاريخ قد لاقت معارضة من قبل بعض المؤرخين والعلماء لأسباب متعددة فإن النتيجة كانت اكتساب التاريخ الصفة العلمية منذ القرن التاسع عشر (٦٨) .

وعندما نقرأ " لأنجلوا وسينيوبوس " نرى بسرعة أنهما يتمسكان بأن مفهومهما التاريخ قرار نهائى ، ففى نظرهما أن التطور البطىء هو الذى جعل التاريخ علما وجد ، أخيرا ، صيغته ، فقالا : " منذ خمسين سنة ... استخلصت وتألفت الصيغ العلمية للعرض التاريخى ، منسجمة مع المفهوم العام فى أن غاية التاريخ ليست فى أن يعجب ، ولا فى أن يعطى (وصفات عملية) لسلوكه ، ولا فى أن يثير ، ولكن بكل بساطة فى أن ينقل معرفة " (٦٩) .

إن لهجة هذا الإعلان هى لهجة شعار ثابت ، ففى التاريخ الذى كتب هذا الإعلان ، بصيغته النهائية ، كان المفهوم التاريخى الذى عبر عنه يفرض نفسه على العالم كله ، فقد كان فى فرنسا ، يتحكم بالحيوية التاريخية الجامعية ، مستثنيا بعض الهواة الباقين أمناء لصيغ التاريخ القديم الأدبية (٧٠) . وبواسطة هذه الروح توصل التاريخ إلى أن يكون بحثا قبل أن يكون وصفا . وبهذه الروح أيضا شعر المشتغلون بالتاريخ باطمئنان إلى ميزة هذا البحث العامة، وعلى أساسها تأسست علاقة نظامية بين علماء كل البلدان . وكذلك تحددت الطرق ، فالمعرفة ، وطريقة تصنيف المصادر ، ومبادىء النقد الخارجى لوثيقة ما ، والامتحان الدقيق المتناول اتجاهات فكر المؤلف ، كل هذه نقاط لم تعد قابلة التردد فى أمرها أبدا (٧١) .

الإسهام العربى والإسلامى فى التأريخ :

كان العرب قبل الإسلام يحددون الأوقات بالنجوم والأهلة ، كما كانوا يؤرخون بالأحداث العظيمة الحاسمة ، والوقائع المشهورة ، كعام الفيل ، وبناء الكعبة ونحوها ، وظل الأمر كذلك حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب فأمر أن تتخذ الهجرة النبوية بداية للتاريخ العربى فمضى الأمر على ذلك حتى يومنا هذا (٧٢) ٠

ولا نكاد نجد للعرب فى الجاهلية تاريخا مدونا باستثناء بعض النقوش على المبانى القديمة فى اليمن تحكى أخبار بعض ملوكهم وشئونهم العامة ، وكذلك أخبار ملوك الحيرة المسيحيين التى كانت مودعة فى الأديرة والكنائس ببلادهم ٠لكن العرب كانوا يتذاكرون أيامهم عن طريق الرواية الشفوية ويتفاخرون بما أحرزه أجدادهم من انتصارات ، وذلك عن طريق الشعر أو النثر ، وبالطبع اصطبغت أمثال هذه الأشعار بالمغالاة (٧٣) ٠

كذلك كانت القبائل تتفاخر بنسبها وتحرص على أن تلقنه لأطفالها فتتناقله الأجيال ، وكان ذلك مصحوبا بالطبع بقصص البطولات المرتبطة بهذه القبائل ، وقد ظلت للأنساب أهميتها بعد الإسلام للاستعانة بها فى تقدير العطاء للجند ٠

ولقد تميز التراث التاريخى عند عرب قبل الإسلام بالبدائية والسذاجة التى كانت إفرازا للمرحلة الحضارية التى عاشوها ، بالإضافة إلى افتقار هذا التراث إلى التحديد الزمنى للأحداث ٠ وإن نظرة على هذا التراث لتكشف عن قصور وعيهم بفكرة التاريخ (وهو قصور لا نلومهم عليه بأى حال من الأحوال) ، فلم يكن التاريخ بالنسبة لهم بحثا عن الحقيقة ، كما لم يروا فى العملية التاريخية نتاجا لتفاعل الإنسان مع بيئته فى إطار زمنى محدد ، ولكن كانوا يهدفون إلى أن تكون هذه الأنماط التاريخية أو شبه التاريخية ، سندا لهم فى مواجهة الضرورات والحاجات التىأفرزتها بيئتهم الطبيعية وظروفهم التاريخية (٧٤) ٠

ولعل أهم ما جاء فى الروايات الشفوية الجاهلية ، ما جاء فيها عن القبائل الشمالية فيما عرف باسم (أيام العرب) والتى تقص أحاديث الحروب بين القبائل المختلفة . وقد جمع مؤرخو القرن الثانى الهجرى مثل هذه الروايات وصنفوها وحملوها فى بعض الأحيان دلالات تاريخية أكثر مما ينبغى ، بل تداخلت التيارات السياسية والاجتماعية فى حبكتها فى كثير من الأحيان ، مما دعا الكثير من الباحثين إلى الشك فى قيمتها العلمية لأنها " مرتبكة من ناحية التوفيق "، وهى على العموم لا تخلو من عصبية أو تمثل جانبا واحدا ، ثم إنها ينقصها التآلف والسبك ، وليست فيها فكرة تاريخية ، ومع ذلك فإنها تحوى بعض الحقائق التاريخية ، وأهميتها الأساسية هى أنها استمرت فى صدر الإسلام ، وقد أثر أسلوبها على بداية علم التاريخ وخاصة فى العراق (٧٥) .

ويؤكد روزنتال على ذلك فى قوله :" لا توجد إشارة إلى أن الشعور التاريخى قد تقدم قبل الإسلام إلى الحد الذى يضفى على هذه القصص شيئا من التعاقب التاريخى ، وبذلك لم يكن بالإمكان أن تتطور قصص الأيام ، أو أن يكون لها دافع يوجهها نحو التطور لتصبح من الأدب التاريخى ، هذا بالرغم من أن فنونها وأشكالها لعبت فيما بعد دورا هاما فى علم التاريخ الإسلامى (٧٦) .

وجاء الإسلام ونزل القرآن الكريم على النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، مشجعا للمسلمين على الاهتمام بالتاريخ ، فقد ورد فيه الكثير من الأحداث تسجيلا لتاريخ المجتمعات السابقة على الإسلام ، فمثلا هناك سورة كاملة تحمل اسم مملكة فى جنوب بلاد العرب قبل الإسلام (سورة سبأ) ، هذا فضلا عن أن القرآن الكريم إنما قد انفرد بذكر أقوام عربية بادت ، كقوم عاد وثمود ، إلى جانب قصة أصحاب الكهف وسيل العرم ، وقصة أصحاب الأخدود ، وأصحاب الفيل ، وهجرة إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل ، وغير ذلك من قصص الأنبياء وسيرهم مع أقوامهم (٧٧).

غير أن ذلك لا يعنى بأى حال من الأحوال ، أن القرآن الكريم كتاب تاريخ يتحدث عن أخبار الأمم كما يتحدث عنها المؤرخون ، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد للتى هى أقوم ، أنزله الله سبحانه وتعالى ليكون دستورا للمسلمين فى حياتهم ، يدعوهم إلى

التوحيد ، وإلى تهذيب النفوس ، وإلى وضع مبادىء للأخلاق ، وميزان للعدالة ، واستنباط لبعض الأحكام ، فإذا ما عرض لحادثة تاريخية ، فإنما للعبرة والعظة (٧٨) ٠

ومع ذلك فلا نستطيع أن نغفل أن مثل هذه القصص كانت دافعا لكثير من المؤرخين العرب والمسلمين أن يشمروا عن سواعدهم البحثية وراء ما يتصل بها من أحداث ووقائع فى المصادر الأخرى ، وهذا ما نستطيع أن نلمسه بصورة واضحة فى الكتابات التاريخية الإسلامية القديمة ، بل وكذلك بعض تفاسير القرآن الكريم ٠

وترتبط بداية تأليف التاريخ العلمى باللغة العربية ، بالبحث فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأعماله ، وهو ما يستتبع رجوع أصل التاريخ إلى مجموعة الأحاديث النبوية وبخاصة الأحاديث المتصلة بغزوات النبى صلى الله عليه وسلم (ومن ثم اصطلاح " المغازى " أو الغزوات الذى أطلق على المصنفات الأولى التى ألفت فى السير) ٠ ولم يختص أحد بالتأليف فى المغازى قبل القرن الثانى للهجرة فى مواطن أخرى غير المدينة المنورة ، وذلك الارتباط بالأحاديث الذى ترك أثرا لا يمحى فى أسلوب التأليف التاريخى بالاعتماد على الإسناد يفسر التغيير البالغ الذى ظهر منذ ذلك الحين فى الصفات المميزة لرواية حوادث التاريخ عند المسلمين (٧٩) ٠

وبعد ذلك كانت قد تمت الفتوح العربية الإسلامية ووقعت الفتن (العظمى) ونبض عرق العصبية القبلية ، وشاعت بين المسلمين أخبار الأمم القديمة والديانات غير الإسلامية على أيدى رجال مثل كعب الأحبار المتوفى سنة ٣٤هجرية ، وعبيد بن شرية المتوفى سنة ٧٠ هجرية ودهب ابن المنبه المتوفى سنة ١١٠ هجرية ، فتوافرت أسباب شتى اقتضت جمع الأخبار المتصلة بكل ذلك وتدوينها ، فتدوين أخبار القدماء مثلا دعت إليه جملة دواع ، منها رغبة العلماء فى فهم إشارات إلى الأمم الغابرة وردت فى الكتاب والسنة، ومنها ميل بعض الخلفاء كمعاوية والمنصور إلى الاطلاع على سياسات الملوك ومكايدهم ، هذا فضلا عن حرص الموالى على التنويه بمجد بلادهم القديم ٠

ولعل الزهرى (توفى ١٢٤هجرية) يمثل المرحلة الأولى من التدوين بناء على طلب معاوية وعبد الله بن عباس الذى كان يرى ومعه ألواح يكتب عليها عن أبى رافع شيئا من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن الكتابة التاريخية اتخذت طابعا أكثر منهجية على يد الزهرى الذى يعتبر من أقطاب مدرسة المدينة ورائد كتابة السيرة المدونة موردا التفاصيل من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم التى استقاها فى الغالب عن الحديث وجاءت متحررة أو تكاد ، من الطابع القصصى ٠ وقد قيل فى الزهرى " ما أرى أحدا جمع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جمع بن شهاب " ، كما قيل بأنه " كان دائما يدور على مشايخ الحديث ومعه ألواح يكتب عليها عنهم الحديث ، حتى صار أعلم الناس " (٨٠) ٠

وقد انتهى علم السيرة والمغازى إلى رجلين من الموالى هما محمد بن اسحق المتوفى سنة ١٥٢ هجرية ، وقد اختصر سيرته ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هجرية ، ومختصره هذا هو الذى بأيدى الناس اليوم ، ثم محمد بن عمر الواقدى المتوفى سنة ٢٠٧ هجرية ، وكثير من روايته مضمن فى كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هجرية ، هذا إلى كتاب له فى مغازى الرسول صلى الله عليه وسلم مطبوع متداول (٨١) ٠

وكان تدوين الأنساب وأيام العرب مطاوعة لحاجة الشعراء إليها عامة فى مقام الفخر والهجاء ، وحاجة الدولة للأنساب ، خاصة فى بعض أعمالها ٠ وكان الباعث الأقوى على تدوين أخبار الفتوح ، رغبة ولاة الأمور فى معرفة ما فتح من البلدان صلحا ، وما فتح عنوة ، وما فتح بعهد ، لأن لكل حالة حكما خاصا من حيث الجزية والخراج ، فلما دون ذلك كله وجد إلى جانب السيرة نوع آخر من الرواية التاريخية موضوعه أخبار الماضين ، وأحوال الجاهلية وحوادث الإسلام ، وقد أطلقوا على ذلك كله لفظ الأخبار ، وعلى المتخصص فى روايته (الإخبارى) ، كما عرف المتخصص فى رواية الحديث (بالمحدث) (٨٢)٠

وهكذا فإن القرن الثانى أرسى قواعد علم التاريخ العربى الإسلامى ، حيث التطور المنهجى الهام الذى طرأ عليه كعلم بدأ يتخذ استقلاليته عن الحديث ، ولكن دون إهمال

السند الذى أعطى للروايات التاريخية فى ذلك الوقت الكثير من الثقة التى اتخذها الحديث ، لا سيما أن معظم المؤرخين فى هذا القرن كتبوا فى التاريخ انطلاقا من الاهتمام بالحديث ، جمعا أو كتابة ، بحيث حدث تداخل واضح بين العلمين ، كما سيكون التأريخ مدينا للحديث فى النشأة والمنهج والغاية . وقد ظل هذا التداخل وثيقا خلال عدة قرون ، استطاع بعدها التأريخ الخروج من دائرة الحديث والاستقلال عنه (٨٣).

لكن " العبادى " له وجهة نظر تستحق أخذها بعين الاعتبار بالنسبة لتأثير علم الحديث على عملية التأريخ عند المسلمين ، فهو يرى أنه كان حريا أن يتأثر التأريخ بطريقة المحدثين فى جمع الرواية التاريخية ونقدها ، فكان أهل السيرة والمغازى والأخبار يجمعون مأثور الروايات ويدونونها مع إسنادها إلى مصدرها الأصلى ، وهو عادة شخص عادل عندهم له علم مباشر بالواقعة المروية كأن يكون عاينها أو اشترك فيها كما كانت الحال فى رواية أخبار السيرة والإسلام ، أو أخذها من بعض مظانها ككتاب قديم ضاع أو من بعض أهل البادية ، وتلك كانت الحال فى رواية أخبار الأمم القديمة والعرب قبل الإسلام ، فكان النقد عندهم ، أو الجرح والتعديل كما كانوا يسمونه ، ذاتيا منصبا على الرواة ، لا موضوعيا منصبا على المرويات . هذه الطريقة ضمنت لهم إلى حد بعيد صحة الأخبار المتصلة بالقسم التاريخى من السيرة وحوادث الدولة الإسلامية ، ولكنها عجزت عن أن تضمن لهم ذلك فى أخبار القدماء والعرب قبل الإسلام والقسم الأول من السيرة . والحق أن هذه الموضوعات الأخيرة أضعف نواحى كتب التاريخ عند العرب وأغمضها (٨٤).

ولعل مرحلة القرن الثالث الهجرى كانت المنعطف فى تكوين علم التاريخ حيث شهدت ما سمى بالمؤرخين الكبار ، والذين نالوا شهرة واسعة فى الحديث والتأريخ معا ، وأصبحت مؤلفاتهم المصدر الرئيسى لأحداث القرون الثلاثة الأولى من التاريخ الإسلامى .

ولا حاجة بنا إلى الاستطراد فى تبيان جهود المؤرخين فى اتجاه " علمنة " التاريخ ، وما يعنينا هو أن نقرر الدور البارز لمدرسة التاريخ الإسلامى فى هذا المضمار ، ولأول وهلة ينصرف الذهن إلى ابن خلدون كرائد فى فلسفة التاريخ عند المسلمين ،

ولا أحد ينكر إنجازه الرائع فى مقدمته الخالدة التى ضمنها آراءه ونظرياته بما تنطوى عليه من نظرة علمية للتاريخ تستقصى حركته من خلال تفاعل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بل والنفسية . وباختصار ، فالفضل يعزى إلى ابن خلدون فى تنظير شامل للتاريخ قوامه دراسة العمران البشرى (٨٥) .

ومن الإنصاف أن نذكر فضل مؤرخ مثل المسعودى ، فطن منذ وقت مبكر لتطبيق هذا المنهج العلمى فى تاريخه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) فشرح فيه " أحوال الأمم والآفاق ، وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم .." ، حتى اعتبره ابن خلدون إماما للمؤرخين ، ومن هنا فالمسعودى كان ملهم ابن خلدون فيما وصل إليه ، لكنه آثر تطبيق منظوره للتاريخ على التنظير له ، وفى ذلك يقول : " كتابنا هذا كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر " (٨٦) .

وقد سلك المؤرخون المسلمون فى كتاباتهم التاريخية منهجين : الأول ، التأريخ الحولى أو التأريخ حسب السنين ، والثانى : التأريخ حسب الموضوعات (٨٧) :

ا - **التأريخ الحولى أو حسب السنين** : فقد وجد من المؤرخين المسلمين من أرخ للأحداث سنة بعد سنة ، فكانت مختلف الحوادث تجمع فى كل سنة ، وتربط فيما بينها بكلمة :" وفيها "، فإذا انتهت حوادث السنة الواحدة ، انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية ، فيستخدم الجملة الآتية : " ثم دخلت سنة كذا " أو " ثم جاء فى سنة كذا "

وعيب هذا المنهج التأريخى أنه يمزق سياق الحادثة التاريخية الطويلة ، التى تتواصل وتمتد إلى عدد من السنين ، فلا يذكر المؤرخ منها إلا ما يخص حوادث السنة التى يجمع كل أحداثها ، فإذا كان لهذه الحادثة بقية فى سنة ثانية وثالثة ذكرها متفرقة ممزقة ، فى جملة أحداث كل سنة ، وذلك كما نرى فى تاريخ الطبرى وتاريخ الجبرتى .

ب- **التأريخ حسب الموضوعات** : وهى التزام المؤرخ طريقة التأريخ إما للدول أولعهود الخلفاء والحكام ، وإما للسير أو للطبقات ، وإن كان من الملاحظ أن الموضوع هنا هو شخص أو أشخاص، ومن أمثلة التأريخ للدول : ابن واصل فى " مفرج الكروب

فى أخبار بنى أيوب " . ومثال التأريخ للحاكم الفرد ، ابن زولاق فى " سيرة الإخشيد " (٨٨) . أما التأريخ حسب الطبقات فقد كان مرتبطا بعلم الحديث ، والعلوم الدينية ، مثل : " طبقات الشافعية " لتاج الدين السبكى ، وفى غير العلوم الدينية : " طبقات الأطباء " لابن أبى أصيبعة .

ومن الأهمية بمكان القول بأنه نتيجة لأهمية علم التاريخ عند المسلمين ، فقد قام عدد من المستشرقين بدراسة هذا العلم لكشف الجوانب الخفية فى مناهج الفكر التاريخى العربى والإسلامى ، ومن بين هؤلاء (٨٩) :

- فردناند وستنفلد F.Wuestenfeld الذى أصدر بحثا هاما فى مؤرخى المسلمين عام ١٨٨٢ جمع فيه حوالى ٥٩٠ اسما من أسمائهم وضمنه مصنفاتهم ومؤلفاتهم فى القرون العشرة الأولى بعد الهجرة .
- مرجليوث D.Margoliouth ، وقد نشر عددا من الدراسات والمحاضرات التى كان قد ألقاها فى جامعة كلكوتا بالهند عام ١٩٢٩عن مؤرخى المسلمين فى القرون الأولى للهجرة .
- بروكلمان C.Brockelmann ، وقد إصدر معجما لجميع مصنفات المسلمين فى العصور الإسلامية ، وتضمن مجلدين نشرهما فى برلين بين ١٨٩٨و١٩٠٢، ثم أضاف إليهما ثلاثة مجلدات نشرها فيما بين ١٩٢٧-١٩٤٢ .
- فرانز روزنثال Franz Rosenthal ، وقد أصدر مصنفين هامين ، الأول تحت عنوان " A.History of Muslim Historiography"، والذى ترجمه د. العلى ببغداد ١٩٦٣، والآخر بعنوان " The Tecchnique and Approach of Muslim " ، وعربه د. أنيس فريحة ، بيروت ١٩٦٠ .

وهناك غير هؤلاء بطبيعة الحال عدد غير قليل (٩٠) .

وأخيرا فلعل الثغرة التى يلاحظها البعض (٩١) فى تكوين علم التاريخ عند العرب والمسلمين ، تمثلت فى تفوق الوعى على المنهج الذى انعكست عليه بعض سلبيات النظام السياسى ، لا سيما التسليم بالأمر الواقع الذى جعل من المؤرخ عالما غير مفكر ، وغير متعود على التحليل والنقد ، لكنه ، فى الوقت نفسه ، قام بدور كبير فى حفظ

التراث العربى الإسلامى ، وحرص ما أمكن على الموضوعية على الموضوعية والتدقيق بصبر شديد فى أخباره ٠

وهذه الوجهة من النظر تحمل بعض التطرف فى تعميمها للحكم الذى تشير إليه ، فلو كان المعيار فى هذا الحكم ما أصبح يعد الآن من الشروط الجوهرية فى الكتابة التاريخية ، فالحكم يكون صحيحا ، لكننا لا نظن عدلا فى تحكيم معيار معاصر على إنتاج علمى مرت عليه قرون بعيدة ٠ ثم إن هناك إشارات متعددة تؤكد أن الكتابات التاريخية التى اتصلت بعلوم الحديث قد خضعت للكثير من النقد والتحليل ، ولا يتسع المجال هنا لسوق الأدلة على وجود اتجاه نقدى فى الكتابات العلمية الإسلامية ، دون أن نكرر نحن كذلك خطأ التعميم ٠

لكننا نؤيد ما ذكره " بيضون" من أن أكثر ما أعاق تطور المنهج التاريخى ، هو ارتباط التدوين ، منذ بداياته بالسلطة ، مما أوجد " صراعا " بين اتجاهين فى القرن الثانى ، دون أن يكونا بالضرورة فى الموالاة والمعارضة ، ولكنه كان صراعا فكريا بين الرأى (العراق) والمحافظة (الحجاز) التى تراجعت أمام الأول ، الذى حقق تقدما فى المنهج ، لم يكن الاتجاه الثانى قادرا على تحقيقه من خلال معطياته المحدودة وظروفه المختلفة (٩٢) ٠

وقد ازدهرت الدراسات التاريخية فى مصر نتيجة لإنشاء الجامعة المصرية سنة ١٩٢٥ وافتتاح كلية الآداب بها ، فقد تحولت دراسة التاريخ بهذه الكلية من دراسات مدرسية كانت تدور بمدرسة المعلمين العليا الأدبية ، وما كانت تزيد على أن تكون بسطا لمنهج التاريخ فى المدارس الثانوية ، إلى دراسة جامعية تتسم بالبحث والتعمق واستخدام الوثائق التاريخية ونشرها ٠

وإذا كان من الملاحظ على الدراسات التاريخية فى مصر حتى هذا التاريخ أنها كانت تصطبغ بالصبغة الأجنبية وتدور حول التاريخ الأوربى لا غير ، فقد كان أول من تنبه إلى هذا العيب ، أساتذة قسم التاريخ بكلية الآداب الجدد حينئذ فوجهوا عنايتهم لتاريخنا القومى (٩٣) واضطلع بالبحث فى التاريخ المصرى القديم وتدريسه د ٠سليم حسن ،

ود٠سامى جبرة ، وكذلك تاريخ العرب والإسلام حمل لواء الدراسات فيه عبد الحميد العبادى ، كما عنوا بتاريخ مصر الإسلامية وحمل لواءه د٠حسن إبراهيم حسن ، ونال تاريخ مصر الحديث عناية فائقة من شفيق غربال ٠

ومع أن غربال قد تأثر بفلسفة أستاذه المؤرخ الإنجليزى " توينبى " فى ربط تفسير التطور التاريخى بدور الصفوة المتميزة فى مجالات النشاط البشرى وبنظرية التحدى والاستجابة فى معالجة العلاقات بين الشرق والغرب فإنه فى بعض كتاباته لم يتمسك بهذا التفسير وخاصة أنه كان يؤمن إيمانا صادقا بحرية الفكر وباختلاف منابع الثقافة ، وهذا ما غرسه غربال فى تلاميذه ، فقد رفض سياسة صب القوالب والتقليد ، وتمسك بتوجيه قدرات تلاميذه ومهاراتهم ، كل على حسب إمكاناته ، لذلك يمكن القول أن ما أحدثه غربال يعد منعطفا تاريخيا فى الاتجاهات الحديثة فى دراسة التاريخ المصرى الحديث (٩٤) ٠

وإذا كانت مدرسة غربال قد ظهرت فى العهد الملكى مما كان لابد معه أن تظهر آثاره على إنتاجها العلمى ، فإن قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ قد أتاح الفرصة لمدرسة علمية أخرى تتبنى ، إلى حد ما ، الرؤية الاشتراكية لحركة التاريخ ، وذلك على يد د٠ محمد أنيس ، فى آداب القاهرة ، وحاول ربط الحركة التاريخية فى مصر بإبراز دور المقاومة الشعبية ورد الاعتبار للشعب المصرى ، ومسيرته فى صنع الأحداث ، كما حاول التصدى لدور المدرسة الاستعمارية ، ووجه تلاميذه لدراسة الحركات الوطنية ، وثورات التحرر فى الوطن العربى ، والقوى الاجتماعية كحركات الفلاحين والعمال والمثقفين (٩٥) ٠

٠٠٠والتأريخ للتربية ؟!

سوف نتناول فى فصل تال بإذن الله فى فصل قائم بذاته ، حركة الفكر التربوى فى مصر فى مجال التأريخ التربوى ، ومن هنا سنقتصر على جزء يسير هنا يتصل بالتأريخ للتربية عموما ٠

فلقد كنت كثيرا ما أكلف طلاب الدراسات العليا فى تربية عين شمس (الدبلوم الخاص) الذى يختارون مقرر تاريخ التربية أن يقوموا بالتأريخ للتربية فى إحدى الحضارات القديمة ، مثل الحضارة الفارسية ، أو الهندية أو البابلية .. وهكذا ، وبعد مضى بعض الوقت من العام الدراسى ، تعودت أن أسمع شكوى متكررة كل عام ، وهى أنهم لا يجدون مراجع ومصادر للموضوع !! وكان ردى المتكرر أيضا أن " التأريخ المتخصص " فى قطاع بعينه أو لمجال بالذات لم يكن قد قام بعد، لأنه لم يدر بخلد أحد .

كان ما أثر عن مثل هذه الحضارات القديمة هو " تاريخ " ، يتمثل فى آثار ، وبعضها تسجيل لأحداث جرت وقت التسجيل أو وقائع وأحوال كانت قائمة ، وكان هذا لا يعد - فى ذلك الوقت - " تاريخا " ، لكننا استفدنا به بعد ذلك فى عملية التأريخ لهذه الحضارات . وكان ما يسجل ، غالبا ، مما يتصل بالحكام وكبار القوم والأحداث السياسية والعسكرية ، ومن هنا فإن عملية التأريخ للتربية ، أو لغيرها من المجالات الأخرى ، لم تكن قد ظهرت فى أى بلد ، هذا على الرغم من أن العملية التربوية هى أقدم من غيرها فى الحياة البشرية . من هنا فقد جرت العادة على أن نقوم باستخلاص ما يتصل بالتربية من حركة تطور الحياة المجتمعية فى الحضارة التى تكون موضع بحث وتأريخ ، ولعلنا نستطيع أن نسوق فيما يلى أمثلة من جهود تأريخية مستنبطة من مثل هذا التاريخ المجتمعى العام :

- ففى المجتمعات البدائية لم تكن هناك أية صورة من صور التسجيل والتدوين ، حتى للحركة المجتمعية العامة ، لكن المؤرخين اعتمدوا على الدراسات الأنثربولوجية ، وخاصة تلك التى أجريت فى العصر الحديث ، على قبائل تعتبر " جيوب " تخلف حضارى وجدت فى بعض المناطق فى آسيا وإفريقية وأمريكا الجنوبية . فلم يكن عسيرا ، مثلا ، استنباط طريقة التربية الأساسية فى الأسرة فى المجتمع البدائى التى تقوم على المحاكاة والتقليد ، ونفس الشىء بالنسبة لعملية تعلم أية مهارة عملية ، فضلا عن " الممارسة " وطول المران (٩٦).

- وفى الحضارة السومرية ، فإن ما عثر عليه من آثار عليها خط مسمارى ، كان فرصة لاستنباط قواعد الكتابة السومرية والبحث عن كيفية تعلمها واستخدامها فى

التدوين والتسجيل ، ومعرفة صور القراءة والكتابة ، التى هى المدخل الأساسى للعملية التعليمية . وعلى الرغم من أن القصص المأثورة هى نتاج خيال ، مثل ملحمة " جلجاميش " لكنها على أية حال يمكن أن تعطى صورة للمستوى العقلى الذى كان قائما وبعض العقائد والأفكار الأساسية التى كانت توجه سلوك الناس وعلاقاتهم بعضهم مع بعض . والأهم من ذلك ، فإن تشريعات " حمورابى " تضمنت بعض النصوص الخاصة بعلاقة الأبناء بآبائهم وبعض ما كان للأبناء من حقوق وما كان عليهم من واجبات ، بحيث يمكن النظر إلى هذه القضية لا على أنها فقط قضية قانونية وإنما هى كذلك قضية تربوية من الدرجة الأولى بغير تزيد ولا مغالاة (٩٧).

– وبالنسبة للتربية الخاصة ببنى إسرائيل ، فقد اعتمدنا على تحليل مضمون النصوص التوراتية ومختلف نصوص أسفار العهد القديم . وإذا كان البعض يواجهنا هنا بأن التوراة قد حرفت ، فإن ردنا هو أننا نبحث عما كان بالفعل ذا أثر فى سلوك اليهود وعلاقاتهم مع الناس وعلاقاتهم بعضهم مع بعض ، وكيفية تربيتهم لأبنائهم ، ومن ثم فإن النصوص الدينية القائمة هى المصدر الرئيسى بغض النظر عما إذا كانت هى التى نزلت على موسى عليه السلام أم لا ؟ فمن نصوص العهد القديم يمكن لنا الخروج بأهم القيم الأخلاقية التى شكلت المثال والنموذج ، لكن ما كان يمارس ويحدث بالفعل ، فهذا لا سبيل لنا إلى معرفته إلا من خلال تحليل العديد من الممارسات العامة التى يسجلها التاريخ الثقافى العام كما قلنا (٩٨).

– وبالنسبة للتربية العربية فى العصر الجاهلى ، فقد اعتمدنا فى التأريخ لها بدرجة أساسية على الأدب العربى القديم ، وخاصة الشعر ، اعتمادا على ما بينته الدراسات العلمية الحديثة للأدب من خطأ تلك النظرة التى كانت ترى أن الأديب يجب أن يروى طائفة جيدة من مختار المنثور والمنظوم ، وأن يلهم بهذا المنثور والمنظوم من لغة وتاريخ وقصص ونسب بشرحه وتفسيره ونقده لكى يكون أديبا ، وأن النظرة السليمة هى أن الأديب مرآة صافية وضاءة أمينة لما فى عصره إن كان أديبا منشئا وليس المختار من المنظوم والمنثور إلا صورا لألوان من حياة الأفراد والجماعات ، وفيها القوى وفيها الضعيف ، فيها الجيد وفيها الردىء ، فيها الرضى وفيها البغيض ، ومن هنا فدارسو الأدب الآن لا يقتنعون بهذه الصورة يحفظونها ويستظهرونها ويلقون عليها

أبصارهم متعجلين ، وإنما يسعون إلى أن يتعرفوا ما وراء هذه الصور ويتعمقوا حقائقها ويعرفوا دقائق هذه الحياة النفسية التى اضطربت بها الأفراد والجماعات فأنشأت ما أنشأت من نثر اليوم (٩٩) ٠

- وفى العصر الإسلامى ، فالقرآن نفسه نستطيع أن نستنبط منه أن عرب الجاهلية كان منهم من يعرف القراءة والكتابة ، لأنه ضمن العديد من سوره كلمات عن القراءة والكتابة والقلم والتسطير والورق والصحف والكتاب ، وتضمنت صوره أشكالا لقيم تربوية شاعت بين الجاهليين وبين اليهود ، وهو قد رسم صورة لما يجب أن تكون عليه التربية الإسلامية ، ونفس الشىء بالنسبة للسنة النبوية ، فقد تضمنت أحاديث أفضل ما لابد من تعلمه " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " ، وهويضع بذور كثير من قيم التربية ، فيدعو - مثلا - إلى الرفق والملاينة فى غير تراخ ولا تسيب ، ويقرن النظر بالعمل ٠٠ وهكذا ٠

وتضمنت الكتب التى وضعها المفسرون شرحا لكثير مما يتصل بتربية اليهود وأخلاقهم ، وكذلك بالنسبة لعرب الجاهلية وعرب عهد النبوة ، والمساجد التى اعتبرت المؤسسة المركزية الأولى للتربية الإسلامية ، وفى أسباب النزول مجال واسع ومتعدد لصور من التأريخ التى يمكن استنباط بعض ما يتصل بالتربية منها ٠

ولقد سبق أن أشرنا إلى كتب الطبقات ، فهى معين يتسم بالغزارة فى التأريخ للتربية الإسلامية ، فمعظم من أرخوا لهم هم من العلماء ، ولم يكن العالم المسلم ، عادة ، مجرد باحث يحصل ويقرأ ويحفظ ، وإنما كان ، فى الغالب الأعم ، كذلك معلما ينشر المعرفة ويذيع ما وصل إليه باعتبار ذلك واجبا دينيا ٠ لقد وضعوا كتبا لطبقات الفقهاء عامة ، مثل ما كتبه القاضى محمد عبد الوهاب بن محمد الشيرازى (تاريخ الفقهاء) ، ومحمد بن عبد الملك الهمذانى الشافعى (طبقات الفقهاء) ٠ وهناك كتب عن علماء المذاهب الكبرى (١٠٠)٠

وهناك كتب عن (تاريخ القراء) كما نرى عند أبى عمرو الدانى ، والذهبى ، وألفت كتب عن تاريخ الحفاظ ، وأشهر من ألف فيها " الذهبى " ، الحافظ شمس الدين ،

وكتب ابن الدباغ عن " طبقات المحدثين " ، وهناك فى (طبقات النحاة) ، ولابن الجوزى كتاب شهير عن " أخبار الحمقى والمغفلين " وهناك من كتب عن الشعراء مثل " معجم الأدباء " لياقوت الحموى ، وكتاب ابن أبى أصيبعة عن الأطباء .

على أن من أهم الكتب التى تعطى قراءها صورا من زوايا محتلفة لشرائح المجتمعات الإسلامية ، تلك الكتب التى كتبت عن فئات خاصة ، مثل العمش والعور والعمى والبخلاء والمقتولين والطفيليين والعشاق والمحبين والضعفاء .

كذلك الكتب التى ألفت بغرض تصنيف العلوم ، مثل الفهرست لابن النديم يعطينا صورا متعددة لأهم المؤلفات وتطور العلوم ، وكتاب حاجى خليفة :" كشف الظنون " وإحصاء العلوم للفارابى ، وما سار على نفس الدرب وهى كتب كثيرة ورفيعة المستوى ، كلها مما يدخل فى باب التأريخ التربوى مباشرة .

وهناك كتب الأدب المختلفة التى تروى أشعار الأدباء وطرفا من حياتهم ومواقفهم ، لا تخلو بحال من الأحوال عن إشارة إلى أن هذا قد تعلم على يد فلان كذا وكذا ، وأن فلانا كان يعلم فى مسجد أو فى مدرسة أو فى كتاب ، وما كان يحدث بينهم من مناظرات ومعارضات ، وعلاقات الأدباء بالسلاطين والخلفاء والأمراء .

وحتى تلك الكتب التى أرخت للخلفاء والسلاطين والدول ، إذ لا يخلو عمل دولة أو فرد من المشار إليهم من بناء مدرسة أو مسجد أو مكتبة أو رصد الأوقاف على دور العلم والتثقيف ، وإعطاء الجوائز للعلماء والمعلمين .

إن كل هذه الأمثلة التى أشرنا إليها الغالب عليها هو أنها " تأريخ " للتربية فى العصور الإسلامية المختلفة ، بل ولبعض البلدان الأخرى سواء تلك التى سبقت قيام الإسلام أو تلك التى دخلته وعاصرته ، مما وفر معينا غزيرا للباحثين فى تاريخ التربية الإسلامية .

ولم يتوافر لنا مع الأسف الشديد مادة نستطيع من خلالها أن نتحدث عن حركة التأريخ للتربية فى الغرب ، والتى لا شك أنها سارت على نفس المنوال الذى سارت عليه الكتابات التأريخية الأخرى فى مختلف المجالات بحكم ما أحرزته الحضارة الغربية من تقدم ملحوظ وتطور مشهور ، ولعل غياب الحديث عن مثل هذه الجهود قصور نعترف به ندعو الله أن ييسر لنا سده فيما بعد إن كان فى العمر بقية .

الهــوامـــش والمراجـــع

١- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ج١ ، ص١٣

- بطرس البستانى : محيط المحيط ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٧

- حاجى خليفة : كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون ، جزءان ، استامبول ، ١٩٤١، ١٩٤٣ ، ج١ ، ص ٢١٢

٢- التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، ط١، ١٩٦٧ ، ص٥٦

٣- فى كتابه " الصحاح " ، وهو مجلدان • والجوهرى ، هو إسماعيل بن حماد الجوهرى ، أبو نصر (٠٠-٣٩٣هجرية /٠٠٠-١٠٠٣م) لغوى من الأئمة ، مادة أرخ / ج١، ص٤١٨

٤- ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، مادة تاريخ ، ج٣

٥- (أبو سعيد) ، توفى ٢١٦ هجرية (٨٣١م) ، راوية العرب ، وإمام فى اللغة والشعر والبلدان •

٦- توفى سنة (٣٣٤هجرية =٩٤٨م) ، وهو من البلغاء الفصحاء المتقدمين فى علم المنطق والفلسفة ، يضرب به المثل فى البلاغة ، ومن كتبه " نقد الشعر " •

٧- هو : محمد بن يحيى بن عبد الله ، أبو بكر الصولى ، (٠٠٠-٣٣٥هجرية =٠٠٠-٩٤٦م) ، وقد يعرف بالشطرنجى ، من أكابر علماء الأدب •

٨- الصولى ، أبو بكر : أدب الكتاب ، تحقيق محمد بهجة الأثرى ، القاهرة ، ١٣٤١ هجرية ، ص١٧٨

٩- وذلك فى كتابه " المغرب فى ترتيب المعرب " وهو شرح وترتيب لكتابه " المعرب " فى اللغة• والمطرزى : هو ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ، أبوالفتح :(٥٣٨-٦١٠هجرية =١١٤٤- ١٢١٣م)، عالم أديب فقيه •

١٠- الكافيجى ، محيى الدين : المختصر فى علم التاريخ ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين ، عالم الكتب ، ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٥٣

١١- المرجع السابق ، ص ١٦

١٢- السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ،

١٩٨٩ ص ٢٠
١٣- محمد عواد حسين : صناعة التاريخ ، فى مجلة (عالم الفكر ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٤، ج٥ ، العدد الأول) ، ١١٦
١٤- قاسم عبده قاسم : الرؤية الحضارية ، دار المعارف ، القاهرة ، د٠ت ، ص ٢٧
١٥- جوزف هورس : قيمة التاريخ ، ترجمة نسيم نصار ، نشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٧٤، ص ١٠
١٦-عثمان موافى : منهج النقد التاريخى ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٧٦ ، ط٢ ، ص ١٩٧
١٧- السخاوى ، ص ١٩
١٨- دائرة المعارف الإسلامية ، طبعة الشعب ، القاهرة ، المجلد التاسع ، ص ١١٥
١٩- روزنتال ، فرانز : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلى ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٣ ، ص ٥١٢
٢٠- توفى سنة ٥٤٠ ، عالم باللغة والأدب ٠
٢١- عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ص١٣ ، المقدمة
٢٢- عثمان موافى ، مرجع سابق ، ص ١٩٨
٢٣- جب : علم التاريخ ، تعريب لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٨١ ، صص٢٦-٢٧
٢٤- عبد المنعم إبراهيم الدسوقى الجميعى : منهج البحث التاريخى ، دراسات وبحوث ، مطبعة الجبلاوى ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ١١
٢٥- Oman.Ch.On the Writing of History. London . P.2
٢٦- الجميعى ، مرجع سابق ، ص ١٠
٢٧- ابن خلدون ، المقدمة ، طبعة الشعب ، القاهرة ، د٠ت ، ص ٧
٢٨- حسين مؤنس : التاريخ والمؤرخون ، دراسة فى علم التاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥، ص ١٣
٢٩- كشف الظنون ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢١٢
٣٠- عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، المطبعة العامرة الشرفية ، القاهرة ، ١٣٢٢ هجرية ، ج١ ، ص ٢

٣١- الكافيجى ، مرجع سابق ، ١٦
٣٢- السخاوى ، مرجع سابق ، ٢١
٣٣- حسين مؤنس ، التاريخ والمؤرخون ، مرجع سابق ، ص٢١
٣٤- المرجع السابق ، ص ٢٢
٣٥- عبد الرحمن بدوى : مناهج البحث العلمى ، دارالنهضة العربية ، ١٩٦٣ ، ص١٨٣
٣٦- حسن عثمان : منهج البحث التاريخى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ١١
٣٧- قسطنطين زريق : نحن والتاريخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص ٥٣
٣٨- المرجع السابق ، ص ٥٤
٣٩- حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص ٣٤
٤٠- المرجع السابق ، ص٣٥
٤١-المرجع السابق ، ص٣٦
٤٢- حسين فوزى النجار : التاريخ والسير ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، سلسلة المكتبة الثقافية (١٢١) ، نوفمبر ١٩٦٤ ، ١٠
٤٣- قسسطنطين زريق : نحن والتاريخ ، مرجع سابق ، ص٥٥
٤٤- محمد عواد حسين ، صناعة التاريخ ، ١١٦
٤٥- حسين فوزى النجار : التاريخ والسير ، ص ١٦
٤٦- المرجع السابق ، ص ١٧
٤٧- أبو الفتوح رضوان : التاريخ فى مناهج الدراسة فى مصر ، فصل كتبه وضمنه ترجمته لكتاب : هنرى جونسون : تدريس التاريخ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٧٢
٤٨- المرجع السابق ، ص ٧٣
٤٩- على أدهم : تاريخ التأريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ص ١١-١٢
٥٠- محمد بيومى مهران : التاريخ والتأريخ ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،١٩٢٢، ص٩٥
٥١- شوقى الجمل : علم التاريخ ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٨

٥٢- هرنشو: علم التاريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧ ، ص ١٦
٥٣- ر٠ج٠كولينجوود : فكرة التاريخ ، ترجمة محمد بكير خليل ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٨، ص ٥١
٥٤- المرجع السابق ، ص ٥٢
٥٥- هرنشو، علم التاريخ ، مرجع سابق ، ص ١٧
٥٦- أرنولد توينبى : الفكر التاريخى عند الإغريق ، ترجمة لمعى المطيعى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٠ ص٢٠
٥٧- هرنشو، علم التاريخ ، ص ١٨
٥٨- هنرى برجسون ، تدريس التاريخ ، مرجع سابق ، ص ١٥
٥٩- المرجع السابق ، ص ١٦
٦٠- محمد عواد حسين ، ص ١٢٥
٦١- المرجع السابق ، ص ١٢٦
٦٢- هرنشو، علم التاريخ ، ص ٢٥
٦٣- المرجع السابق ، ص ٢٧
٦٤- المرجع السابق ، ص ٣١
٦٥- شوقى الجمل ، علم التاريخ ، مرجع سابق ، ص ١٥
٦٦- كولنجوود : فكرة التاريخ ، مرجع سابق ، ص ١٧٢
٦٧- فيصل محمد شقير : القرن التاسع عشر وصناعة التاريخ ، مجلة (الفكر العربى ، معهد الإنماء العربى ، بيروت ، العدد٥٨، أكتوبر/ ديسمبر ١٩٨٩) ، ص ٥٥
٦٨- المرجع السابق ، ص٥٦
٦٩-هورس : قيمة التاريخ ، مرجع سابق ، ص ٧٢
٧٠- المرجع السابق ، ص ٧٣
٧١- المرجع السابق ، ٧٤
٧٢- الفصل الذى كتبه عبد الحميد العبادى فى ترجمته لكتاب هرنشو : علم التاريخ ، ص٣٤
٧٣- شوقى الجمل علم التاريخ ، ص ٢٦
٧٤- سليمان الخطيب : فكرة التاريخ بين السخاوى والكافيجى ، بيت الحكمة ، القاهرة

، ١٩٩١، ص ٢١
٧٥- عبد العزيز الدورى ، مرجع سابق ، ١٧
٧٦- روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ، ٣٣
٧٧- محمد بيومى مهران : التاريخ والتأريخ ، ص١١٩
٧٨- المرجع السابق ، ص ١٢٠
٧٩- دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد التاسع ، ص ١٢٦
٨٠- إبراهيم بيضون : مسائل المنهج فى الكتابة التاريخية العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، فى (مجلة الفكر العربى) مرجع سابق ، ص١٠
٨١- عبد الحميد العبادى ، فى : هرنشو، علم التاريخ ، ص ٣٥
٨٢- المرجع السابق ، ص٣٦
٨٣- إبراهيم بيضون ، مرجع سابق ، ص ١٤
٨٤- العبادى ، مرجع سابق ، ص ٤٣
٨٥- محمود اسماعيل : قضايا التاريخ الإسلامى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص١٥١
٨٦- المرجع السابق ، ص ١٥٢
٨٧- السيد عبد العزيز سالم : مناهج البحث فى التاريخ الإسلامى والآثار الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٦٧، ص ٨٢
٨٨- المرجع السابق ، ص ٩٢
٨٩- السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ص ٦-٧
٩٠- حسان حلاق : مناهج الفكر والبحث التاريخى والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٨، ص٥٦
٩١- إبراهيم بيضون ، مرجع سابق ، ص ٢١
٩٢- المرجع السابق ، ص ٢٢
٩٣- أبو الفتوح رضوان ، فى تدريس التاريخ ، مرجع سابق ، ص ١٤٤
٩٤- عبد المنعم الجميعى ، مرجع سابق ، ص ٩٨
٩٥- المرجع السابق ، ص ٩٩

٩٦- سعيد إسماعيل على : التربية والحضارة فى بلاد الشرق القديم ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٥، الفصل الأول .

٩٧-___________: المرجع السابق ، الفصل الثانى

٩٨- ___________ : التربية عند بنى إسرائيل ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٧

٩٩- ___________ : التربية العربية فى العصر الجاهلى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٦

١٠٠- السخاوى ، صفحات متفرقة .